السنة العاشرة　　العدد ٩　　١ أيار　　سنة ١٩٠٧

المشرق

مدارس الزوراء في عهد الخلفاء

لحضرة مكاتبنا الفاضل الاب انستاس الكرملي البغدادي

ان الأمَّة كلما زادت تقدُّماً زاد اعتناؤها بفتح المدارس وانماء عددها وتعليم الفنون والعلوم والصنائع المختلفة والمناسبة لحاجيَّاتها ونشَّطت ابناءها السائرين في نهج التقدم ولذا اصبح تعدُّد معاهد العالم من ادلّ العلامات على ارتقاء الامة معارج الفلاح والنجاح والعكس بالعكس (١). ومن ثمَّ سمَّى البعض هذا العصر «عصر النور» لما في نفس ارباب الامر من الدأب في تحسين حالة صروح الادب وانماء عددها ورفع اعلام علومها وتعديدها وترقيتها

وعلى هذا الوجه كان ارتقاء العرب في «عصر زهو رياض ازمنتها» فانَّ جُلَّ اعتناء الخلفاء ومن اخذ اخذهم كان مصروفاً وراء تشييد المدارس واعلاء كعبها ومنزلتها كما واعلاء امر معلّميها ومتعلّميها حتى قال السيوطي في محاضرة مصر: «اول من بنى المدارس لطلبة العلم ورتَّب فيها المعاليم من المَواجب والأرزاق نظام المُلك (في عهد بني العبَّاس) يعني هو اول من بنى في العراق» اه

ونظام الملك هذا وُلد نحو سنة ١٠١٧م ومات سنة ١٠٩٢ فهو الذي بنى في بغداد المدرسة التي سمّيت باسمهِ اي المدرسة النظامية. ولما صار الامر الى المستنصر سنة ١٢٢٦م جارى نظام الملك في تعمير مباني العلم ومن جملتها المدرسة التي بناها في دار السلام وقبَّة الاسلام وعُرفت باسمهِ ايضاً اي المستنصريَّة كما سنعيد ذكرها عن قريب

١) راجع في هذا البحث ما كتبهُ ابن خلدون في مقدمته. الفصل الثالث من الفصل السادس من الكتاب الاول: «في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة»

واما قبل هاتين المدرستين الشهيرتين فكان في الزوراء عدة كتاتيب ومداريس وكانت في المساجد او تجاور الجوامع يتلقّى فيها الطلبة اصول الدين والعلم أو كانت الناشئة تتردَّد على الايمّة في بيوتهم لالتقاط درر المعارف من بُحور صدورهم . او ان اكابر المدينة كانوا يستدعون اليهم مشاهير العلماء والاساتذة فيُقرئون اولادهم الفنون ويهذّبونهم احسن تهذيب على الطريقة المتعارفة يومئذٍ

وكان في بغداد مدارس جمة مبثوثة في جميع أحيائها ومحلاتها ولسوء الطالع لم يتعرض لذكرها بنوع خاص المؤرخون والاخباريون . وانما ذكروها استطراداً في بعض ابحاثهم . وها نحن قد جمعنا بعضاً منها وحرصاً على حفظها ندرج اسماءها في هذه المجلة ريثما يتيسَّر لنا الوقوف على غيرها . ونذكرها هنا على حروف المعجم

وقبل ان نركض جواد قلمنا في ميدان هذا البحث الجليل نلاحظ ان المراد هنا بالمدرسة ما كان يريد بهِ اهل بغداد في سابق الزمان اي ما يقابلهُ اليوم المكتب الثانوي أو المكتب العالي . وليس المراد بهِ ابداً الكتّاب او المدارس يعني المكتب الابتدائي او الاوليّ او الاستعداديّ . واذ قد مهّدنا ذلك نقول :

١ (الأزج) مدرسة أولى في باب الازج

باب الازج محلة كبيرة من اكبر محلات بغداد سابقاً وسبب تسميتها بالباب ان اغلب احياء هذه المدينة كانت مسوَّرة وفضلاً عن ذلك كانت تفضي الى باب وهذا الباب كان يُقفل ليلاً او عند مهاجمة العدوّ لدفعهِ عن إلحاق الضرر باهل تلك المحلّة . ولهذا فا كثر محلات بغداد كانت تبتدئ بكلمة باب فيقال باب العامّة وباب الشارع وباب سوق التمر الخ . وحتى في هذه السنين الاخيرة كان في مدينتنا مثل هذه المحلات واليوم يوجد محلة تعرف « بباب الرواق » تُغلق ابوابها ليلاً . ومنها محلات قُلعت ابوابها . الّا ان اسماءها باقية عليها ومنها باب المعظم . والباب الشرقيّ وباب الكاظم . الخ

وعلى هذا النحو قالوا باب الازَج للمحلّة التي نحن في صددها . ومما كان يميّزها عن سائر الحارات المضافة الى اسم « باب » ان باب الازج كان يُدخل الى محلّتها بأزجٍ معقود في صدرها . والازج بيت يبنى طولاً وبالفرنسيّة : (portique voûté) قال ياقوت في معجمهِ عن هذه الحارة : باب الازج محلّة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحالّ كبار في شرقيّ بغداد فيها عدة محالّ كل واحدة منها تُشبه ان تكون مدينة . ينسب اليها

الازجي . والمنسوب اليهـا من اهل العلم وغيرهم كثير جداً » . وهذا كلام يُشعر بأن سكان هذا الحيّ كانوا من اهل العلم والدراية وان مدارسهُ كثيرة جمّة . . .

فمن مدارس باب الازج مدرسة كان يُطلق عليهـا : « مدرسة باب الازج » بُنيت خاصّة للدمشقي يوسف ابن رمضان بن بندار المشهور بابي المحاسن الدمشقي الفقيـه الشافعي . قال ياقوت في معجمهِ (٢ : ٥٩٨) : « كان ابوهُ قرقوبيًا (١ من اهل مراغة . وولد يوسف بدمشق وخرج منها بعد البلوغ الى بغداد وصحب اسعد الميهنيّ واعاد لهُ بعض دروسهِ ثم ولي تدريس النظاميّة ببغداد مدة وبُنيت لهُ مدرسة بباب الأزج وكان يذكر فيهـا الدرس . ومدرسة أخرى عند الطيوريين ورحبة الجامع . وانتهت اليهِ رئاسة اصحاب الشافعي ببغداد في وقتهِ . » اه المقصود من ايرادهِ

٢ مدرسة ثانية في باب الازج

بناها ثقة الدولة ابو الحسن عليّ بن محمّد الدُوَيني القزويني ايام المقتفي لامر الله الخليفة العبّاسي . (عن ابن الاثير)

٣ مدرسة ثالثة

منسوبة الى ابي حكيم ابرهيم بن دينـار بن احمد بن الحسين بن حامد بن ابرهيم النهرَوَانيّ البغدادي الفقيه الحنبلي شيخ صالح . قال ياقوت (٤ : ٨٥١) : « نزل باب الأزج ولهُ هناك مدرسة منسوبة اليهِ تفقّه على ابي الخطّاب محفوظ بن احمد الكلواذاني . وكان حسن المعرفة بالفقه والمناظرة تخرّج بهِ جماعة وانتفعوا بهِ لخيرهِ وصلاحهِ . » اه

٤ المدرسة البلطاسيّة

هذه المدرسة جاء ذكرها في كتاب « گلشن خلفاء » التركي العبارة لمؤلفهِ مرتضى نظمي زاده البغداديّ المتوفى سنة ١١٣٧هـ = ١٧٢٠م وعلى راي آخر انـه توفي سنة ١١٣٦ هـ = ١٧٢٣م . فقد قال في ص ١٢ من مخطوطنا مـا هذا معناه : « . . . وهذه النُقول عن مباني بغداد وتاريخها نقلتها من التاريخ الصغير للمؤرخ الشهير بالخطيب (٢

---

١) القُرقُوبيّ نسبةً الى قُرقوب وهي بلدة متوسطة بين واسط والبصرة والاهواز وكانت تُعدّ من اعمال كَسكَر (عن ياقوت) وابو يوسف بن رمضان كان قُرقُوبيّ المولد مراغيّ المنشاء.

٢) اسم الخطيب يقع على عـدة علماء ومؤلفين ومؤرخين الآ ان صاحب « گلشن خلفاء » يريد هنا « الخطيب هبة الدين الدبري البغدادي (كذا) كما يتضح ذلك من بقية كلامهِ ونحن لم

امَّا تاريخهُ الكبير ففيهِ من تراجم الرجال الكتب واسمائها ورواة الحديث وكتبهم ممّا لم يُسمع بهِ فمما يضيق عنهُ نطاق الحصر

من ذلك ان المدرسة البلطاسية فيها من الكتب ما يبلغ فهرسها ٣٦٠ مجلدًا امَّا عدد خُزَّانها فيبلغ ٥٠ شخصًا . والمدرسة المذكورة تشتمل على اربعة آلاف حُجرة (١ casiers) ورواتبها في اليوم عشرون الف رغيف وعشر بقرات ومائة كبش . وراتب مدرّسها وهو الشيخ قوام الدين (٢ مائة رغيف وكبش واحد وخمسون درهمًا في اليوم » . انتهى ما ذُكر في تاريخ الخطيب البغدادي وذلك في عهد المتوكّل . (ص ١٤ من نسختنا الخطيَّة)

على اننا قد بحثنا في ما عندنا من الكتب وما وصلت يدُنا اليهِ منها فلم نعثر على ذكر هذه المدرسة فلعلَّ النظر في تاريخ الخطيب هبة الدين الديري البغدادي يُزيل

نعثر على هذا الاسم في ما لدينا من الكتب . والمشهور من كتبة تاريخ بغداد باسم الخطيب البغدادي هو : أبو بكر الخطيب الحافظ احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي بن ثابت البغدادي وهو الذي ذيل كتاب تاريخ بغداد الذي اول من كتبهُ احمد بن ابي طاهر البغدادي فذيَّلهُ الخطيب فوقع تأليفهُ في اربعة عشر مجلَّدًا . ولا يبعد ان يكون هذا هو المطلوب هنا فذكرهُ صاحب كلشن بلقبهِ هبة الدين وذكرهُ غيرهُ بلقب الخطيب . واما الدَّيري البغدادي فيكون نسبةً الى دير كان في بغداد او بجوار بغداد كدير اشموني كان بقطربل وكان من اجل متنزهات بغداد . ودير الثعالب وهو دير مشهور وكان للنساطرة بينه وبين بغداد ميلان او اقل في كورة نهر عيسى على طريق صرصر . وكان بجانب قبر معروف الكرخي بغربي بغداد الموجود الى يومنا هذا ديران كان الواحد منهما عند باب الحديد وباب بَغَبْرَى . والآخر الى جانب القبر ايضًا وبهِ سُمِّيت المقبرة باسم « مقبرة باب الدَير » وهي تعرف اليوم بمقبرة الشيخ معروف الكرخي . وكان في جوار بغداد « دير الجاثليق » وكان فيهِ مقام الجاثلقة اي مُقدَّمي اساقفة النساطرة . وكان موقعهُ عند باب الحديد قرب دير الثعالب في وسط العمارة بغربيّ بغداد . والاديرة في بغداد وما جاورهما كانت كثيرة اغلبها للنساطرة . ولو اردنا تتبُّعها لطال بنا المقال فلا جرم ان الخطيب نُسب الى ديرٍ من اديرة بغداد فصحَّ عليهِ نسبةُ الى دير والى بغداد معًا

١) نظن ان المراد بالحجرة هنا « الخانة » وبالفرنساوية casier

٢) قوام الدين المذكور هنا كان معاصرًا للخطيب البغدادي بما انهُ هو الذي يذكره . والخطيب البغدادي وُلد في جمادى الآخرة سنة ٣٩٢ هـ = ١٠٠١ م) وتوفي في ٧ ذي الحجَّة سنة ٤٦٣ = ١٠٧٠ م فيكون قوام الدين من اهل المائة الخامسة هجريَّة . ولم نقع على ترجمتهِ في ما عندنا من كتب التاريخ

الشبهة عمّا في هذا الكلام من المبالغة او ما يقرب منها. هذا واننا لا نعرف الى اي اسم نسبت هذه المدرسة ولا من هو هذا بلطاس. فهل من باحث يفيدنا عمّا نحن فيه من امر هذه المدرسة ومنشئها ؟

٥ المدرسة البهائيّة

هذه المدرسة كانت مجاورةً للمدرسة النظامية وكان يقرب منها ايضاً بيمارستان يُعرف بالبيمارستان التُتُشيّ وكان مَفتحُهُ في سوق تُتُش. وهذه المدرسة هي غير المدرسة التُتُشيَّة. هذا الذي عثرنا عليهِ في كتب التواريخ ولم نرَ أزيد من هذا القدر في هذا الصدد

٦ المدرسة التاجية

قال ياقوت (في ١ : ٨١٠) : التاجية منسوبة. اسم مدرسة ببغداد ملاصقة قبر الشيخ ابي اسحاق الفيروزابادي. نُسبت اليها محلة هناك ومقبرة. والمدرسة منسوبة الى تاج الملك ابي الغنائم المرزبان بن خُسرُو فيروز المتولّي لتدبير دولة ملكشاه بعد الوزير نظام الملك» اه. بناها نحو سنة ٤٨٢ هـ — ١٠٨٩م وكانت بجوار باب ابرز. وفي عصر السلجوقيين اتُخذت مقبرة باب ابرز مدفناً لعدة رجال من مشاهير العراق

وتاج الملك هذا قتلهُ المماليك النظامية سنة ٤٨٦هـ = ١٠٩٣م وكان كثير الفضائل جمَّ المناقب لهُ الاعمال المأثورة وهو الذي بنى تربة الشيخ المذكور وكان قد رتَّب في المدرسة التاجية الشيخ ابا بكر الشاشي. وكان عمرهُ لمَّا قُتل ٤٧ سنة وذكرهُ مشهور في التاريخ. راجع ابن الاثير ومختصر الدول لابن العبري

٧ المدرسة التُتُشيَّة

قال ياقوت : تُتُش التاءان مضمومتان والشين معجمة وهو اسم رجل يُنسب اليهِ مواضع ببغداد. وهي : سوق قرب المدرسة النظامية يقال لهُ : العقّار التُتُشيّ. ومدرسة بالقرب منهُ لاصحاب ابي حنيفة يُقال لها : التُتُشيّة. وبيمارستان بباب الازج يقال لهُ : التُتُشي. والجميع منسوب الى خادمٍ يُقال لهُ : «خمار تكين» كان للملك تاج الدولة تُتُش بن ألب ارسلان بن داود بن سلجوق... ومات في رابع صفر سنة ٥٠٨ هـ (١١١٤م). اه المقصود من الاستشهاد بهِ

٨ً مدرسة زَبرَك (١ او مدرسة سُوق العَميد

قال ياقوت في مادة لامغان: . . « وقد نُسب اليها جماعة من فقهاء الحنفية ببغداد منهم ممّن رأيناهُ وادركناهُ: القاضي عبد السلام بن اسمعيل بن عبد الرحمان بن عبد السلام بن الحسن اللامغاني ابو محمّد القاضي الفقيه المُتقن من اهل باب الطاق ومشهد ابي حنيفة. سكن دار الخلافة بالمطبق وتفقَّه على ابيهِ وعمّهِ ودرَّس بمدرسة سوق العميد المعروفة بزَبرك (١ . . وسُئل عن مولدهِ فقال في سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦م) بمحلَّة ابي حنيفة. وتوفي في مستهل رجب سنة ٦٠٥هـ (١٢٠٨م) ودُفن بمقبرة الخيزُران بظاهر مظهر ابي حنيفة » اه

٩ً مدرسة في محلَّة الطيوريّين

وقد مرَّ ذكرها في مدرسة باب الأزج الاولى

١٠ً المأمونيَّة

لم يتعرَّض لذكرها ياقوت الحمويّ. وذكر ابن ابي أُصيبعة في كتاب عيون الانباء. قال [illegible]س « المدرسة (٢ المأمونية ببغداد ٢٠٣ » ولم نجد ذكرها في الصفحة المذكورة. ولا غرو [illegible]وقع خطأ في الرقم (٣ . وعلى كل فمن عرف وسمع مقدرة المأمون في العلم وعرف [illegible]نتهُ من الدراية لا يتعجَّب من بناء مدرسة جامعة أفضل المزايا واحسن الوسائط وأقربها الى تحصيل العلوم والفنون

١١ً المُستنصريَّة

قد تعرَّض لذكرها المشرق مرارًا عديدة (منها في ٥: ١٦٤ و ٩٦١ وفي ١٠: ٨٠) حتى اصبح المشرق من اعظم الكتب التي بحثت عنها هذه المدرسة. ومن ثمَّ فلا افادة في الاعادة. الَّا اننا نذكر هنا ما لم يذكر في المواطن التي اشرنا اليها. ليكون الواقف على ما في هذه المجلة محيطًا بجميع ما كُتب عن هذه المدرسة الطائرة في الآفاق. اما موقعها

---

١) زَبرَك لفظة فارسية الاصل استعملها الترك ومعناها الحاذق المجتهد. وهو لقب او اسم كثيرين من الفرس والترك ولا نعلم من هو المراد به هنا

٢) والمامونية اسم محلَّة عظيمة كانت في بغداد تُسمَّى اليوم « باب الشيخ وفضوة عرب» وهي منسوبة الى المامون امير عبدالله بن هارون الرشيد. ولعلَّ المراد هنا مدرسة في المأمونيَّة وعلى كلّ فالمأمون صاحب كلا الامرين

٣) هي مذكورة في الجزء الثاني ص٢٠٢ (المشرق)

بالنظر الى سابق العهد فمن المؤكد انها كانت قد بُنيت في داخل حدود باب الغربة . ومن الممكن على ما يظهر من بناياها الحالية انها كانت في جنوبيّ هذه المحلة يعني في الموطن الذي كان فيه جزء من الفسحة التي كان يقوم عليها سابقاً القصر الحسني الاول وكانت دجلة تغمر احد جُدرانه . واليوم لا يبقى ادنى رسم او اسم لتلك القصور قصور الخلفاء التي كانت تجاور المدرسة المذكورة

ومما يزيدنا اسفاً على عدم معرفة هذه المدرسة بالنسبة الى ما كان يدانيها من البنيان والعمارة ان بناءها تمَّ سنة ٦٣١ هـ = ١٢٣٤ م فلم يمكن لياقوت الحموي ان يتكلم عنها في كتابهِ الذي لم ينسج على منوالهِ احدٌ ممَّن تقدمهُ . وكان هذا الكاتب العلامة قد فرغ من تأليف سفرهِ بزمان وجيز قبل اقامة هذا الصرح العلميّ الجليل . ومن ثمَّ فلا يمكننا ان نعرف « على التحقيق » على اي رسوم قديمة شُيِّدت اركان هذه المدرسة التي تغنَّى بتديحها كل غادٍ ورائح . وفاح من عبير نشرها اطيب الروائح . فلا غرو اذا اسف على فقدها المُعاصر . واهل الزمان العابر والغابر . ولا جرم ان غاية المستنصر بالله عندما رفع دعائمها كانت مُناوأة المدرسة النظامية ان لم نقل كانت نيتهُ تعفية آثار تلك المدرسة اختها البكر التي بُنيت قبل نحو قرنَين

كانت المستنصريَّة من اعظم المدارس واشهرها ذكرًا . واعظمها قدرًا . واعلاها كعباً . وارحبها قعباً . وكان فيها على رواية ابن الفُرات « دار كتب » جمعت من الأسفار اندرها . ومن المواضيع اخطرها . وكان فيها المخطوطات الروائع . في جميع العلوم والآداب والفنون والصنائع . كلها حسنة التنسيق والتبويب . والنظام والترتيب . حتى ان الباحث كان يستطيع بسهولة كليَّة ان يستشير ايَّ كتاب ارادهُ في المواضيع العلمية والادبية . بدون ادنى عناء . وبدون ان يأخذهُ شيء من الوناء . وكذلك اذا اراد احد الطلبة . او بعض الكتبة . نسخ او استنساخ بعض مصنفات تلك الخزانة في جميع الابواب . فان قوَّامها كانوا يعدُّونهُ بما يحتاج اليهِ من الحِبر والورق والقلم بدون ادنى أجرة او حساب

وذكر ايضاً ان المدرسة كانت تنير المصابيح للطلبة ليلًا اذ كانت تدَّخر عندها الكمية اللازمة لهذه الغاية على مدى السنة . كما انهُ كان هناك مُزمَّلاتٌ لماء الشرب . وكان على وجهِ الايوان الاكبر « صندوق ساعات » وهي التي ورد ذكرها في المشرق مرارًا عديدةً تنبّه المتخرّجين على اوقات الصلاة والدرس والقيام بما تنتدب لـهُ شُتَن

المدرسة وهي لا تبطل ليلًا ولا نهارًا. وكان الخليفة قد اخذ على نفسه القيام بما يُوصل هذه المدرسة الدرجة القصوى من التحسين والكمال الممكن. ولذا كان يتعهدها كل يوم بدون ان يخالف ابدًا هذه الخطة التي اختطّها لنفسه. وكان قد اتخذ لهُ بستانًا خاصًا بهِ وبنى فيهِ منظرةً يشرف منها على هذه المدرسة. وكان من عوائدهِ المألوفة انهُ يختلف الى تلك المنظرة ويُسرِح منها طائر بصرهِ على احدى ساحات المدرسة من وراء كوَّة او طاقةٍ عليهـا ستر معلّق بحيث يَرى ولا يُرى وينظر ويلاحظ كل ما يجري داخل ذلك الصرح العلمي ويسمع تدريس المدرسين وقراءاتهم كما انهُ كان يقف ويطّلع على حسن استعداد الطلبة والخرّجين لتلقي الدرس

وبعد ان مضى على تشييد هذه المدرسة مائة سنة زار ابن بطوطة بغداد سنة ٧٢٧هـ — ١٣٢٧م فتكلم عن هذه المدرسة التي افلتت من يد المُغول بل من يد الغُول ولا افلات جرادة العيّار فقال (٢: ١٠٨ من الطبعة الباريسية)

«وفي وسط هذا السوق (سوق الثلاثاء) المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الامثال تُضرب بحسنها. وفي آخرهِ «المدرسة المستنصريّة» ونسبتها الى امير المؤمنين الظاهر ابن امير المؤمنين الناصر وبها المذاهب الاربعة [illegible] في المسجد وموضع التدريس وجلوس المدرّس في قبة خشب صغيرة على كرسي عليهِ البسط ويقعد المدرّس وعليهِ السكينة والوقار لابسًا ثياب السواد معتمًا. وعلى يمينهِ ويسارهِ معيدان يُعيدان كل ما يُمليهِ. وهكذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الاربعة. وفي داخل هذه المدرسة الحمّام للطلبة ودار الوضوء..»

وبعد ابن بطوطة باثنتي عشرة سنة كتب حمد الله الكاتب الفارسي واصفًا تلك المدرسة احسن وصف مـ[illegible]ـا اياها من احسن المباني الموجودة يومئذٍ في الزوراء. وقد بقيت على تلك الحال الحسنى حتى حلَّ بها ما حلَّ فلم يبقَ منها الَّا ما جاء وصفهُ في المشرق

وممَّا يتعلّق ببعض التعلق بالمستنصريّة جامع يُعرف «بجامع القصر» رمَّمهُ المستنصر وهو الذي كان قد بناهُ الخليفة عليّ المكتفي. ومما زاد المستنصر على بنائهِ بعد ترميمهِ اربع دكّات في غربي المنبر كان يجلس عليهـا طلبة المستنصريّة فيتناظرون ويتباحثون ويتجادلون ويتناقشون بعد صلاة الجمعة. وبقايا هذا الجامع شاخصة الى يومنا هذا وهي واقعة اليوم في وسط محلّة تعرف «بمحلة سوق الغزل». والماثل منها احسن مُثول مئذنة تعرف «بمنارة سوق الغزل» وهي المنارة الوحيدة الموجودة في بغداد من عهد الخلفاء.

العباسيين. وقد حاول الاعداء مرارًا عديدة ان يصرعوها ويجدلوها على الارض فوقفت في وجههم كالجبّار العنيد او كالصنديد الساخر بالوليد. وهذا الجامع « جامع القصر » لا يبعد الّا سبع دقائق عن موقع بقايا واطلال المستنصريّة (انظر الصورة)

ولمّا زار بغداد الرحالة الافرنجي نيبهر سنة ١٧٥٠ وجد مطبخ المستنصريّة بيتًا لكل ذي عينين وكان قد أُتخذ خانًا للوزن والقبانة ونسخ عنه كتابة غير الكتابة التي ورد ذكرها في المشرق (١ (٥:٩٦٢) وهي غير الكتب التي تُرى اليوم (٢. وكذلك وجد كتابة مطوّلة قراها على أطلال الجامع (٣. وتاريخ كتابتها سنة ٦٣٣هـ = ١٢٣٦م وهي ولا شكّ في ذلك سنة تتمة ترميمه على يد هذا الخليفة حليف الآداب والعمران والالفة ولعلّ هذا الجامع كان من دوارس « جامع الخلفاء » الذي كان قائمًا قريبًا من دار الخلافة في الجانب الشرقيّ على ما يشهد عليه ابو الفداء والقزوينيّ وابو

١) واليك صورتها: « قد امر بانشاء هذه المدرسة الشريفة لطلّاب العلم وتسمّى المدرسة العظمى. [من مكّن] دولة العزّ واسعد الخلائق [بـ] المحجة البيضاء. [المظيّ] عند الله وخليفتهُ في ارضهِ الخليفة ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين امتع الله المسلمين باعزاز سلطانهِ وأبّد دولتهُ بطول حياتهِ وذلك سنة ستمائة وثلاثين. » والظاهر ان الذي كتب لنيبهر هذه الكتابة كان جاهلًا ولا اظن انهُ نقل ما كان مكتوبًا هناك بحرفهِ بل بمعناهُ وان كان نيبهر يقول انهُ قابلها على الاصل لان الاغلاط الموجودة فيها وركاكة العبارات تشهد بذلك. فما وضعناهُ بين معكفتين هو من زياداتنا لتقويم العبارة. والناقل كان قد كتب العظمى: العُظما. وستمائة: ستة مائة

٢) وهذا نقل الكتابة الموجودة اليوم على وجه جدار الكُمرك « ما شاء الله كان. — بسم الله الرحمن الرحيم. ولكن منكم امّة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون. — قد كان أُنشئ هذا البناء في زمن خلافة عبدالله ابي جعفر المنصور المستنصر بالله العباسيّ في سنة ثلاثين وستمائة. وقد تجدّد تعميرهُ في زمن خلافة ظلّ الله الاعظم الممدود ظلّ رأفتهِ على مفارق الامم مجدّد قوانين اجدادهِ العظام سلاطين آل عثمان مجدّد جهات العدل والاحسان السلطان ابن السلطان حضرة السلطان عبد العزيز خان ابن السلطان الغازي محمود خان لا زالت البلاد بعدالتهِ معمورة ولا برحت العباد بفيض احسانهِ مغمورة. آمين وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى آلهِ وصحبهِ اجمعين وكان ذلك في سنة اثنتين وثمانين والف. كتبهُ المذنب بكر الصدقي عُفي عنهُ. » اه

٣) وهذا نَقل ما كان مكتوبًا في عهد نيبهر وهو ممحّى اليوم: « امر بعملهِ سيدنا ومولانا الامام المستنصر بالله امير المؤمنين علّى الله تعالى معالم الاسلام بهمتهِ العليّة وأزهى دعائم الايمان بآيات اوليائهِ وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (١٢٣٥م)

الفرَج وابن الفرات وابن بطوطة وراجع نزهة القلوب لحمد الله الكاتب الفارسيّ (في ص١٤٨) . هذا ولسان المدرسة ينشد اليوم :

بعد القراءة والتدريس ليس بها غير الصدَى وغُراب البَين ينعيها
ان تُسعد الارض او تشقى فلا عجب فالزمان صُروفٌ في مَغانيها

(لهُ تتمة)

لبنان

نظر في اشغالهِ العموميَّة وزراعتهِ ومستقبلهِ الاقتصاديّ

للاديب اميل افندي خاشو مهندس لبنان سابقًا (تتمة)

تسميد الاملاك

ومن الابحاث التي تمسّ الزراعة السّماد واصنافهُ فلا يمكنني ضرب الصفح عنهُ لكنّي لا اتجاوز الكلام العموميّ في ذلك

معلوم انَّ التربة اللبنانية من اصلها قويَّة مخصبة لكنْ طبقات هذه التربة الزراعيَّة ليست بعميقة ولذلك تضعف بعد زمن قليل إن لم يُسرع الفلّاح الى تقويتها بالتسميد. وكان ارباب الفلاحة حتى السنين الاخيرة اذا ما عالجوا ارزاقهم وهيأوا بين الصخور والحصى شيئًا من التربة الزراعيَّة التجأوا الى السماد الطبيعيّ الذي ما كانوا يعرفون غيرهُ . الّا انَّ اهل الدامور تنبَّهوا الى قصور هذا السّماد عن وفاء الحاجة وسبقوا اللبنانيين في استحضار السماد الصناعي او الكيموي كما سبقوهم في جلب مياه الريّ الى اراضيهم فجلبوا كميَّة من هذا السماد من اوربَّة وبعد تجربته مدَّة سنتين على طريقة قانونيَّة تحقَّقوا ما في استعمالهِ من الفائدة اليوم عمّ استعمالهُ تلك الانحاء.

ولستُ أُريد بقولي السابق انَّ السواد الطبيعيّ او السرقين لا يصلح البتَّة فينبغي نفيهُ. كلّا. لكنَّ فائدتهُ محصورة اذ يصلح فقط للاراضي التي ينقصها الفسفات . امّا التربة الزراعيَّة فانَّها في حاجة الى غير ذلك من المواد المغذية الحسنة فانَّ بعضها تحتاج

الى الكلس وغيرها يحتاج الى البوتاسا وغيرها الى الفسفات فالسماد الكيموي مركّب تركيباً مختلفاً على مقتضى حاجة كلّ تربة

لمّا اكتشف الكيمويون منافع الدمال الاصطناعي أبى الفلّاحون في اوربة اتخاذه توهّماً منهم انهُ يضرّ ولا ينفع . فخصّت الدول لازالة هذه الاوهام في كلّ ايالة ومقاطعة بستاناً كانوا يقسمونهُ قسمين يزرعون قسماً منهما على الطريقة المألوفة عند الزرّاعين والقسم الآخر يعالجونهُ بالسماد الكيموي فيتحقّق ارباب الفلاحة بالعيان منافع الطريقة المستحدثة اذ كانوا يرون المزدرعات خاوية ضئيلة في القسم الاوّل وناميةً زاخرة في القسم الآخر فلا يرتابون في فوائد السماد الكيموي ويتسارعون الى استحضارهِ . لأنّ الارض مستودَعة امينة للودائع تُعطي كما يُعطَى لها ان قليلاً او كثيراً

ولا يكفي لتحسين التربة ان تُسمّد بالسّماد الكيموي بل تحتاج ايضاً الى اصلاح واصلاحُها بازالة نقائصها الطبيعيّة والكيمويّة لتأتي بغلّات اوفر . وربّما اجتمع الامران في السبب الواحد فانّ الصلصال مُصلح للاراضي الغالب عليها الرمل كما انّ الرمل يحسّن الاراضي الصلصاليّة . واخصّ ما يُفهم باصلاح التربة ان تُكلّس وتحوّر وتجصّص امّا تكليس التربة (chaulage) وتحويرها (marnage) وتجصيصها (plâtrage) فبأن يُذرّ عليها الكلس والحوّارى والجصّ لكي تعمل فيها هذه الموادّ اعمالاً كيماويّة من شأنها ان تغذيها وتقوّيها . ويلحق بهذا الباب تنظيف التربة من الفضوليّات واحراق الاعشاب الضارّة (écobuage) وفي ذلك فائدتان الاولى ازالة هذه النباتات المؤذية والثانية انّ الرماد الباقي بعد حرقها يحسّن صلصال التربة

وما قلتهُ هنا برضٌ من عدّ لا يمكنّي الآن ان اتّسع بهِ وفي نيّتي ان اعود الى هذا الامر واستوفيهُ كما يجدر بهِ . وغاية ما استطيع قولهُ الآن انّ الاراضي التي تغلّ الغلّات الوافرة من تلقاء ذاتها قليلة جدّاً وإن وُجد منها شيء . فانها لا تأتي بمعظم غلّاتها الّا بمساعدة السماد الموافق لها . لانّ التربة بعد الزرع تفقد كثيراً من خواصها فلا بُدّ لها من استئناف قوّتها واسترجاع المفقود بالتسميد . وعلى عكس ذلك ربّ تربة ضئيلة صلحت بالتسميد فأتت بغلّات واسعة بعد اصلاحها

التعليم الزراعي

لا يجهل احد ما صارت اليهِ حالة التعليم في بلادنا وكيف سوريَّة تحفل بالمدارس الزاهرة التي تعمّ كلّ طبقات السكَّان من اعيانهم الى فقرائهم . فترى الاحداث حتى اولاد الفلَّاحين يتعلّمون مع لغتهم الوطنيَّة اللغات الاجنبيَّة واصول العلوم العصريَّة . وممَّا يُستغرَب انك لا تجد بين هذه المدارس المتعدّدة مدرسةً واحدة تهتمّ بتعليم اصول الزراعة . وذلك خلل عظيم في قطر مثل القطر السوريّ حيث الزراعة تُعدّ من اكبر مرافق الوطن واغنى موارد ثروتهِ . وقد آلت الامور الى ما لا تُحمد عاقبتهُ فترى اهل الجبل لا يفكّرون الَّا في التغرُّب او التفرنج فيهاجرون الى البلاد البعيدة او ينزلون الى المدن ليرتزقوا بالكتابة في بعض المحلات التجاريَّة او بخدمة بعض اصحاب المخازن وذلك براتب زهيد من منة الى منتي قرش في الشهر ما لا يكاد يفي بثمن طعامهم اليوميّ فضلًا عن ملبوسهم ومصروفهم واجرة بيوتهم

نعم انّي لعالم بان المهاجرة ضربت لبنان ضربةً أليمة فحرمتهُ من عَمَلتهِ الذين كانوا يجدُّون في استثمار املاكهِ الَّا انَّ التعليم ايضًا مسئول عمَّا لحق لبنان من التقهقر اذ انَّ المتعلّمين خرجوا عن طورهم ووجَّهوا افكارهم الى غير ما دعاهم الله اليه والله يدعوهم اوَّلًا الى خدمة مسقط رأسهم بما تناله يدهم قريبًا دون الطمع بالثروة البعيدة . والزراعة اقرب اليهم من سواها فلو انقطعوا اليها ودرسوا خواصها واتقنوا طُرُق تحسينها لربحوا الارباح الواسعة عن كثب دون ان يتجشَّموا مضض الاسفار ويكابدوا آلام الغربة لنيل الامانيّ الباطلة . وليس دواء لهذا الداء الَّا بأن يقدّر اهل لبنان قدر جبلهم الذي عليهِ مدار سعادتهم الزمنيَّة فانهم يجدون فيهِ فضلًا عن حسن الموقع وطيب الهواء تربةً تقوم لهم مقام المناجم الذهبيَّة التي تغنيهم دون ان تعرّضهم لآفات التمدُّن المستحدث

٣ مستقبل لبنان الاقتصادي

بقي علينا ان نلقي النظر في مستقبل لبنان الاقتصادي . فان احوال الجبل اليوم غير احوالهِ امس وعلى احوالهِ الحاضرة مبنى استقبالهِ الاقتصاديّ . لما علَّة التغيير الطارئ اليوم على لبنان فالمهاجرة . وان احصينا عدد المهاجرين من الجبل الى اميركة فانَّهم لا يقلُّون عن ستين الفًا وإن قلتَ مئة الف لن تقول شططًا

ولهذه العلّة معلولات متعدّدة انعكس فعلها في كلّ احوال الحياة وكلّ طبقات السكّان. وقد احسّت بيروت نفسها وضواحيها بمفعول هذه المهاجرة فانّ الصنائع خفّت والصنّاع قلّوا والعَمَلة لا يرضون بضعف الاجرة التي كانت تُعطى لهم سابقاً. ان اردتَ بناء يصعب وجود البنّائين. وان طلبت خادماً يخدمك أبى الّا بشروط ثقيلة. ولا يستقرّ عندك اشهراً حتى يطمع بارباح اعظم. وكذا قُلْ عن اسباب المعاش فانّ اللحم والبقول والخُضَر والفواكه تزيد اسعارها يوماً بعد يوم لقلّة العَمَلة ولارتفاع اجرة المأجورين. والداء لا يزال يتفاقم والله اعلم ان كان هذا الفتق يقبل رتقاً واصلاحاً

وكأنّ القارئ يوقفني عند هذا الحدّ ويقول أتنسى انّ لبنان قد غني بالمهاجرة وانّ المهاجرين يرسلون كلّ سنة مبالغ من الدراهم لاهلهم او يعودون بها راجعين الى وطنهم

أجيب اني عالم بهذا الامر لكنّ هذا الغنى يبقى عقيماً دون فائدة للجبل. وبياناً لذلك نفترض انّ كلّا من المهاجرين الاميركيين او سواهم افاد لبنان مئة فرنك او خمس ليرات فيكون مجموع ما حصل الجبل من الدراهم على يد المهاجرين ١٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك او ٥٠٠,٠٠٠ ليرة. فهذه لعمري ثروة واسعة من شأنها ان تشفي فقر اهل لبنان. ولكن دعنا ننظر ما ينتج عنها من الفائدة

اعلم انّ قسماً كبيراً من هذه الدراهم يصيبهُ افقر اهل لبنان اعني اهل نواحي البترون وكسروان والمتن لأنهم لا يأنفون في اميركة ان يعانوا الاشغال المتعبة فيتجوّلون في البراري حاملين ما يدعونهُ «الكشّة» فيرتزقون بذلك ويجمعون مالاً ينقلهم من حالة الى حالة فيصير الفقير غنياً بينما ترى الأسر الغنيّة سابقاً التي لم ترضَ ان تتجشّم مثل هذه الاسفار تتقهقر وتفتقر وناهيك تقلُّب الاحوال ضرراً كبيراً يؤثّر في الطباع والاخلاق والمعاملات فيظنّ المستغني ان مالهُ يسدُّ مسدَّ الشرف والنسب والتهذيب فينبذ اعمال الفلاحة ليعيش عيشة الاغنياء

ولكن هَبْ انّ هذا الفلّاح المغتني يريد ان ينتفع من دراهمهِ فماذا يفعل؟ ليس لهُ الاختيار الّا احد هذه الامور امّا ان يشتري لهُ عقاراً وامّا ان يضع دراهمهُ في مصرف بفائدة ٣ او ٤ في المئة او يعقد مالهُ على الطريقة التي سنصفها

ويفضّل اللبناني بين الامور السابق ذكرها اقتناء الاملاك وان كان ثمنها الآن

يتجاوز كلّ الحدود (١ فيجعل رأس مالهِ في استملاك ارض لا ينال من استثمارها فائدة دراهمهِ اذ لا يربح خمسة او اربعة في المئة . مثال ذلك جلّ التوت الذي يبلغ ورق توتهِ حملًا اي ٦٠ كيلوغراماً فانهُ يُباع من ٢٠٠٠ الى ٤٠٠٠ قرش ومعدّل موسمهِ من الفيالج (الشرانق) كيلوغرامان اعني اقّة ونصف. فأقّة الشرانق تُباع اليوم ٢٠ قرشاً. فيكون الربح ٣٠ قرشاً (٢ فاذا افترضنا انّ جلّ التوت لم يكلّف اكثر من ٢٠٠٠ قرش يكون الربح الصافي في السنة ١,٥ في المئة وهو ربح زهيد جدًا

فاللبنانيّ اذن واقع بين احد امرين اما ان يبتاع لهُ عقارًا لا يستفيد منهُ في السنة اكثر من ١,٥ واما ان يضع دراهمهُ في المصرف (البنك) بفائدة ٣ او ٤ في المئة متعرّضًا لخطر فقد رأس مالهِ بالافلاسات التي تتواتر يومًا بعد آخر . فكثيرون يرون اوفق من هذين الامرين ان يبتنوا لهم دارًا على الطراز الحديث يسقفونهُ بالقرميد لكنّ هذه الدار تستغرق كلّ ما حصلوا عليهِ من المال بعد التعب والعناء الطويل ويقعون في ايدي اصحاب الربا الذين يأكلون مالهم بالمكر والخداع فيعودون الى فقرهم الاوّل وهذا كلّهُ ثمرة الاستعلاء والترفّع اذ اراد هؤلاء الفلاحون ان يعيشوا عيشة الكبار ولو قنعوا لعاشوا مهنّئين بملازمة الاشغال التي اعتادوها فالمال يعمي عيونهم ويخرجهم عن طورهم فيقعون

ما طار طيرٌ وارتفع الّا كما طار وقع

فتكون احسن طريقة لاستثمار المال وضعهُ في المصارف مع ما يحصل من الخطر لكنّ هناك امرًا آخر مضحكًا فان المتموّل يسلّم للمصارف مالهُ البالغ مثلًا الف او الفي ليرة بفائدة ٤ في المئة . فلا يلبث بعد ايام أن يأتي الى البنك ذاتهِ رجلٌ من قرية المتموّل ولعلهُ من اصحابهِ او من اهلهِ وهو في حاجة الى ٢٠٠ ليرة فيستعيرها من البنك بفائدة ٨ في المئة بل ١٠ و ١٢ في المئة . وذلك بشروط فاحشة وهو رهن بيت او عقار يساوي ضعف المبلغ المستعار واكثر

فليت شعري أما كان أولى بهما وافضل لنفع المتموّل والمستعير معًا لو كانا اتّفقا

١) قد بيع ذراع الارض المربّع بليرة انكليزيّة كما يباع عقار أمّهات المدن

٢) ولم نحسب هنا كلفة حراثة الارض

بينهما فاستعار هذا من ذاك على شروط مرضيَّة دون توسّط البنك وتعريض نفسهما لخطر فقد المال والعقار في المصارف . وما اقولهُ هنا اوضح من النهار وترى مع ذلك اهل الجبل يلقون انفسهم في معاملات الصرَّافين ببساطة غريبة وهم لا يدرون انَّ ثمَّة الطامّة الكبرى

فكيف يا تُرى النجاة من هذه الحالة ؟ انَّ الامر بسيط والنجاة سهلة لمن يريدها وانّما الطريقة المثلى في ذلك الاتّفاق والتعاضد فبدلًا من أن يتراكض اهل لبنان الى الاجانب فلينشئوا لهم في كلّ قرية او في كلّ ناحية صندوقًا ماليًا يودعهُ كلُّ من لهُ دراهم مالهُ الزائد عن نفقتهِ . وكلّ من لهُ مال في هذا الصندوق يكون شريكًا . والشركاء يختارون رجالًا مقتدرين وموثوقًا بهم لاستثمار هذا المال . وهؤلاء الوكلاء يقرضون الدراهم لاصحاب الاملاك كما يرونهُ اصلح للشركاء وانسب لحالة المقترضين وغناهم بالعقار . وخلاصة القول انَّ الشركة تقوم مقام البنك في دائرتها المحليّة يتولّى تدبيرها اصحاب الاسهم . ويمكن الشركة المذكورة ان تتعاطى اعمالًا تجاريَّة شتَّى تفيد الناحية كالقروض الرهنيَّة واعمال البيع والشراء واستحضار الادوات الزراعيَّة واقتناء الارزاق لاستثمارها

فترى ممَّا سبق انَّ اهل لبنان لو ارادوا لامكنهم أن يحسّنوا احوالهم دون ان يقامروا بمالهم ويعرضوهُ كما يفعلون لاخطار المضاربات

وهذه الصناديق الماليَّة المحلّيَّة قد أُنشئت اليوم في اغلب بلاد اوربة ولاسيَّما في البلاد الزراعيَّة على طرائق مختلفة وتحت شروط خاصَّة . وهي قد بلغت في بلجكة اطوار كمالها . فانَّ الشركات المحليَّة قد ائتلفت وانضمَّت الى شركة تشمل المقاطعة كلها وشركات المقاطعات تتَّصل بشركة مركزيَّة عموميَّة بحيث يمكن اصحابها ان يتعاطوا اعمالًا تجاريَّة او صناعيَّة واسعة . وممَّا تتعاطاهُ هذه الشركات في بعض البلاد انَّها تصطنع السَّماد الكيموي فتبيعهُ للشركات المحليَّة وغيرها قد ابتاعت أدوات زراعيَّة للحراثة وللحصاد وللتذرية . ولهذه الشركات مهندس زراعي ولها مُختبر تُفحص فيه البذور والحبوب على طريقة كيمويَّة وهلم جرًّا

ولو تشكّلت في لبنان شركة كهذه لأمكنها ان نستحضر بزر دود القزّ فتفحصهُ بالمجهر وتبيعهُ لاهل الجبل وكذلك البذور يمكنها ان تسعى بتحسينها

ومجمل القول انَّ احوال الفلاحة والزراعة في لبنان متوقّفة على شركات كهذه يستعين بها كلّ الاهلين لصوالحهم فيفلتون من ايدي الذين يرصدونهم لسلب اموالهم. فعلى كلّ قرية وان شئت قُل قريتين او ثلاث قرى ان ينشئ اهلها لهم صناديق ماليّة كما سبق وصفها يمكنهم ان يجعلوا فيها حتّى المبالغ الزهيدة كخمسين قرشًا مثلًا. وكلّ من يودع شيئًا من المال في هذا الصندوق يُعطى وصلًا بما اداهُ من المال ليُعطى في اوان التقسيط حصّتهُ من الربح على قدر ما اودع من الدراهم

وهذه الشركات الاقتصاديّة لا تمنع بعض المتموّلين من ذوي الرساميل البالغة ان يتّفقوا بينهم ويشتركوا في انشاء صناعة او معمل او غير ذلك ممّا يفيد النواحي كتدوير الارحية بمحرّك البترول وفتح معمل لنشر الخشب بالادوات الميكانيكيّة او بناء اتاتين متواصلة العمل وذلك على السواحل لسهولة النقل

ومن الصناعات التي تصلح لهذه الشركات جمع الالبان وتربية المواشي والخنازير والدجاج على الطرائق العاميّة المستحدثة

وقد سبق ايضًا اهلُ المتن غيرهم من اللبنانيين الى مثل هذه الاعمال. ونخصّ بالثناء قرية صليما فان اهل هذه القرية بحسن مساعي شيخهم الهمام حبيب شهاب محبّون للترقّي فتراهم اليوم يتسارعون الى مباشرة الامور النافعة دون أن يضنّوا بعمالهم او دراهمهم ولا نشكّ انَّ النجاح يكلّل قريبًا مشاريعهم الطيّبة

وفي الختام نذكّر اهل لبنان بمثل افرنجيّ يقول انَّ الانهار الكبيرة تتكوّن من الجداول الخفيفة ونحضّهم على جمع قواهم لما فيهِ صالحهم. لكنْ جمع القوى لا يتمّ الّا بتجرّد المجتمعين عن منافعهم الخاصّة ليسعوا كلٌّ في خير اخيهِ على مثال الاعضاء في الجسم الواحد التي لا تُصيب منفعتها الّا بطلب منفعة الكلّ. وفقنا الله الى كلّ عمل نافع فيهِ صلاح البلاد وفائدة العباد (تمّت)

الاسقفيّات المنوطة بكرسي صور

لحضرة الخوري كيرلس شارون الرومي الكاثوليكيّ (تابع)

٣ً جدول اساقفة جبيل

كانت جبيل كبقيّة مدن سواحل فينيقية عامرةً حافلة بالسكّان كثيرة الخيرات ذكرها الكتاب الكريم في نبوءة حزقيال (٢٧: ٢) . وكانت قبل المسيح احد مراكز عبادة عشتروت كما اثبتهُ المشرق غير مرّة . ولا غرو انَّ رسل المسيح دعوا اهلها الى التنصُّر كما فعلوا في غيرها من المدن الساحليّة وقد عرفها اليونان باسم بيبلوس . اما اساقفتها فهذا ما نعلمهُ من امرهم:

١ (يوحنَّا الملقَّب مرقس) ورد في السنكسار الروماني وكذلك في ميناون الكنيسة اليونانيَّة في اليوم ٢٧ من ايلول ما نصُّهُ: «في بيلوس فينيقية استشهاد القديس يوحنَّا الملقَّب بمرقس اسقف هذه المدينة» ويوحنَّا مرقس المذكور هو احد تلاميذ الرسل وزعم دوروثاوس الصوري (اطلب المشرق ٩: ٣١١) انهُ كان من السبعين تلميذاً . وهو الذي تكرَّر ذكرهُ في اعمال الرسل (١٢: ١٣ و ١٣: ٥ و ١٥: ٣٩) . وقد ذهب البعض الى انهُ هو مرقس الانجيليّ (١ والله اعلم

٢ (اوثاليوس) يُعرف هذا الاسقف من اعمال استشهاد القديسة اكويلينا وهي فتاة نصرانية عذراء استشهدت في عهد ديوقلطيانوس الملك نحو السنة ٣٠٨ للمسيح في جبيل . وفي تاريخ شهادتها يُقال انها قُتلت في سبيل النصرانيَّة على عهد اوثاليوس اسقف مدينتها (٢

٣ (باسيليدس) حضر مع الآباء مجمع القسطنطينية المسكوني الأوَّل سنة ٣٨١ (٣ وامضى اعمالهُ باسمهِ

٤ (باناتوس) يُقرأ اسمهُ في جملة الآباء الذين اجتمعوا في انطاكية على عهد بطريركها دومنس سنة ٤٤٨ ليستأنفوا دعوى ايباس الرهاوي (٤

١) اطلب اعمال القدّيسين للبولنديين في ٢٧ ايلول (Acta Sanctorum, XXVII, 354)

٢) اطلب اعمال البولنديين (المجلَّد ٢٣ ص ١٦٥) في ١٣ حزيران

٣) اطلب مجموع الشهودسات لماني (Mansi IV, 368)

٤) اطلب مجموع ماني (Mansi VI, 496)

٥ (اكويلينوس) كان هذا من انصار القديس كيرلُس الاسكندري واحد المعادين لاوطيخا فلمّا كانت السنة ٤٤٩ اجتمع الاوطيخيّون في افسس وعقدوا مجمعاً غير قانونيّ دُعي بالمجمع اللصوصيّ فحرموا زوراً القديس فلافيانوس القسطنطينيّ واعداء اوطيخا كأنهم قائلون بدعة نسطور وكان اكويلينوس اسقف جبيل احد المحرومين (١

٦ (روفينوس) ورد اسمهُ في جدول آباء المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ كاحد المدافعين عن الايمان الحقّ والموقعين على اعمال المجمع (٢

٧ (ثاودوسيوس) امضى ثاودوسيوس اسقف جبيل سنة ٥٥٣ اعمال المجمع المسكوني الخامس الملتئم ثانية في القسطنطينيّة لرذل بعض كتب الهراطقة (٣

وهنا ايضاً ثلمة واسعة في جدول اساقفة جبيل. والمرجّح ان كرسيّ هذه المدينة أُلحق في ذلك العهد بكرسيّ بيروت كما هو اليوم. الّا انّ الروم الارثدكس قد عادوا الى فصلهِ منذ زمن قريب وذلك في أيام البطريرك السابق ملاطيوس دوماني في ٢٢ ك٢ سنة ١٩٠٣. وكذلك الروم الكاثوليك فصلوهُ في اواخر القرن الثامن عشر في بعض الاوقات كما ترى في الاسقفين الوارد ذكرهما

٨ (ديمتري قيّوجي) كان هذا من رهبان دير مار يوحنّا الصابغ في الشوير ورسمهُ السيد البطريرك اثناسيوس السادس دهان على كرسيّ جبيل (٤ سنة ١٧٦٨ وتوفي بعد عشر سنوات في عام ١٧٧٩ (٥

٩ (اكليمنضوس بدرا) كان حلبيّ الاصل وعُرف بالطبيب ترهّب في الرهبانيّة الحنّاويّة ثمّ اقامهُ البطريرك اغابيوس الثالث مطر في ٢٣ ك ٢ سنة ١٧٩٨ مطراناً على كرسيّ جبيل. وكانت وفاتهُ سنة ١٨٠٢ ثمّ أُلحق بعدهُ كرسيّ جبيل بكرسي بيروت (٦

---

١) راجع التاريخ الكنسيّ لايفغريوس (Evagre. H. E. I. c. 9)

٢) اطلب مجموع ماني (Mansi, VI, 570)

٣) اطلب ماسي (Mansi. IX, 391)

٤) اطلب اصداء الشرق (ROC VII (1903), p. 332-333)

٥) مختصر تاريخ الروم الملكيين للمطران عطا (ص ٦٠ و ٦١)

٦) راجع التاريخ عينهُ (ص ١٩٠)

٤ جدول اساقفة البترون

البترون ويدعوها اليونان بُتريس (Botrys) كانت حاضرة لمملكة صغيرة ترتقي الى القرن العاشر قبل المسيح (١. ولا نعرف شيئاً عن دخول النصرانية بين اهلها . اما اساقفتها الذين وردت اسماؤهم في الآثار القديمة فهذا ما وجدناهُ منها

١ (بُرفيريوس) اوَّل اسقف للبترون اشار اليهِ التاريخ وقد ورد اسمهُ في الموقّعين على اعمال المجمع الخلقيدونيّ سنة ٤٥١ وقد امضى حيناً اعمال بعض جلسات المجمع بنفسهِ وامضاها حيناً آخر بيد مطران صور فوطيوس (٢

٢ (الياس) اسقف البترون عدل الى حزب ساويرس بطريرك انطاكية الدخيل فحرمهُ مطران صور ايفانيوس (اطلب المشرق ٩: ٣١٤) كما يتَّضح من رسالتهِ التي وجَّهها اليهِ تاوفيل اسقف هرقلة حيث ندَّد بساويروس واعمالهِ (٣

٣ (اسطفان) امضى بصفة اسقف البترون اعمال المجمع المسكونيّ الخامس وهو القسطنطينيّ الثاني سنة ٥٥٣ (٤

وقد بقيت البترون بعد الفتح العربيّ كاحد مراكز الملكيَّة يتبعها عدَّة قرى حولها ويدلّ على ذلك ما يوجد في خزائن مخطوطات اوربَّة من الكتب السريانية بالخطّ الملكيّ الشبيه بالاسطرنجيّ (اطلب المشرق السابق ص ٣٨١) . وهناك ورد ذكر اسقف يُدعى:

٤ (سمعان) اسقف البترون الملكيّ اسمهُ في خاتمة احد المخطوطات السريانية الملكيَّة المصون في مكتبة باريس العموميَّة مرقوماً بالعدد ١٣٤ ويحتوي هذا الكتاب ميناون شهر تشرين الثاني كُتب في دير سيِّدة نهر كفتون سنة ١١٥٦ مسيحيَّة « على عهد سمعان اسقف البترون »

٥ جدول اساقفة طرابلس

١ (مارون) دخلت النصرانيَّة في طرابلس الشام منذ قرون النصرانيَّة الاولى كما تنبئ بذلك الآثار. امَّا اسم اوَّل اساقفتها فقد ورد في الكتابين المعروفين بالرسوم

---

١) راجع تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار للاب هـ. لامنس (ج ١ ص ١١٧)

٢) مجموع السنهودسات لماني (Mansi VII, 435)

٣) المجموع نفسهُ (Id. XIII, 1073)

٤) مجموع ماني (Id. IX: 392)

الرسولية والمذاكرات المنسوبة للقديس اقليميس(Recognit. Clement., l. VI, c. 45)
انَّ القديس بطرس رأس الحواريين جعل على طرابلس اسقفاً اسمهُ مارون (Μαρούνης)
لكنَّ هذين الكتابين مع قدمهما من الكتب المصنوعة نثبت قولهما بكلّ تحفُّظ

٢ (هلّانيكوس) حضر المجمع المسكونيّ الاوّل في نيقية ووقّع باسمهِ على اعمالهِ (١ وممّا اوردهُ القديس اثناسيوس الاسكندريّ في رسالتهِ الى نسّاك الصعيد (٢ انَّ الاريانيين نقموا عليهِ لمدافعتهِ عن الايمان الكاثوليكيّ فنفوهُ

٣ (ثاودوسيوس) كان خلفاً لهلّانيكوس في كرسيّ طرابلس لكنّهُ لم يخلفهُ في ايمانـهِ بل انتصر لآريوس واشياعهِ كما يؤخذ من كتاب القديس اثناسيوس السابق ذكرهُ (٣

٤ (ايريناوس) افاد القديس ابيفانيوس اسقف قبرس في كتاب البدع (Hær. LXXIII, 26) انَّ ايريناوس اسقف طرابلس حضر سنة ٤٠٠ المجمع الذي عقدهُ الاريانيّون في سلوقية ووافق في قولهم انصارَ اريوس جرجيوس اللاوقي واقاق القيصري وغيرهما

٥ (قنُودس) تبـع قنُودس اسقف طرابلس البطريرك يوحنّا الانطاكيّ فصحبهُ الى مجمع افسس ثم انفصل عن الآباء مع بعض الشرقيين فرذلهم آباء المجمع (٤

٦ (ثاودوروس) كان احد آباء المجمع الخلقيدونيّ واسمـهُ مدوَّن في جملة الموقّعين على اعمالهِ سنة ٤٥١ (٥ . وبقي في كرسيهِ الى السنة ٤٥٨ لانهُ حضر المجمع الذي امر الامبراطور لاون بعقدهِ لينظر الاساقفة قضيَّة بروثاريوس بطريرك الاسكندريَّة الذي كان اعداء المجمع الخلقيدوني قتلوهُ ظلماً . واسمهُ بين الموقّعين على اعمال تلك الجماعة

٧ (اسطفان) جاء في سيرة القديس افتيميوس الكبير (٦ اسم أسقف

---

١) اطلب مجموع مانسي (Mansi. II, 693)
٢) اطلب اعمال آباء اليونان (Migne, PP. GG. XXV, 699)
٣) راجع اعمال آباء اليونان (Ibid.)
٤) اطلب مجموع السنهودسات لمانسي المجلد السادس
٥) فيه (Mansi VII, 431)
٦) اطلب كوتلير (Cotelier: *Monum. Eccl. Gr.* II, n° 128)

طرابلس المسمَّى اسطفان وينتج من معاصرتهِ للقديس افتيميوس انهُ كان في القرن الخامس. وقد وجَّه اليهِ ساويروس الدخيل رسالة (١

٨ (لاونطيوس) كان ابن عم اسطفان السابق وخلفهُ في كرسيّ طرابلس كما شهد عليهِ صاحب ترجمة القديس افتيميوس المشار اليها (٢

٩ (ارسانيوس) في مكتبة القبر المقدَّس في القدس الشريف كتاب خطّي تاريخهُ القرن التاسع يشتمل على سلسلة تفاسير لاسفار العهد الجديد. ومن جملة مضامينهِ قطع تُنسب لارسانيوس اسقف طرابلس (٣ . ولا شيء يوجب الظنّ بان الكلام على طرابلس الغرب (٤

١٠ (ملكي) نحو سنة ١٣٦٠ اجتمع اساقفة انطاكية ووضعوا تقريرًا بخصوص انتخاب البطريرك خوميوس الاوَّل. فهذا التقرير موقع باسماء الاساقفة وفي جملتها ملكي (ὁ Μέλχης) مطران طرابلس (٥ . وقد ورد تقرير آخر تاريخهُ اذار حزيران من سنة ١٣٦٥ في ذيلهِ الاسم ذاتهُ مع غيرهِ من الاساقفة. فمن هذين التقريرين يؤخذ انَّ كرسيّ طرابلس كان اضحى مطروفوليطيًا في ذلك العهد . امَّا ملكي فهو اسم علم او هو لقب بمعنى الملكي

١١ (دوروتاوس) بين المخطوطات التي وصفها باباذوبولوس في مكتبة القبر المقدّس (٦ زبور عُلّق عليهِ في آخرهِ « انَّ هذا الكتاب أعطاهُ ليونيل الراهب صاحبهِ في طرابلس فينيقية مطرانها دوروتاوس سنة ١٥٧٧

١٢ (يواكيم ضو) في سنة ١٥٨٢ فُصل ميخائيل الثامن بطريرك انطاكية عن كرسيهِ في دمشق فاقاموا بدلًا منهُ يواكيم ضو اسقف طرابلس (٧ وجرت بينهُ وبين

---

١) فيهِ (Ibid., n° 129)

٢) اطلب المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني في لندن (ع ٦٩٢ ص ٩)

٣) اطلب قائمة باباذوبولوس (Papadopoulos III, p. 57) .

٤) اطلب لوكيان (Lequien: *Or. Chr.* II/824)

٥) اطلب اعمال البطريركية القسطنطينية (Miklosich-Muller: *Acta Patr. Const.* I. 465)

٦) فيها (Id., n° 207)

٧) اطلب (Papadopoulos II, 412)

ميخائيل مطران اوخابيط مخاصمات ومنازعات فصّلها الخوري ميخائيل بريك في تاريخهِ (١ الى أن تفرَّد يواكيم وهو الخامس من اسمهِ بالبطريركيَّة ومات سنة ١٥٩٢ في ٧ تشرين الاوَّل. وقال القس يوحنَّا عجيمي انهُ توفي سنة ١٥٨٩

١٣ (انستاس او اثناس) مرَّ في المشرق (٨: ١٩٧ مع الحاشية) انَّ المسمَّى اثناس او انستاس كان يدبّر في السنة ١٥٨٣ اربعة كراسي وهي طرابلس وصور وصيداء وبيروت

١٤ (ملاطيوس) لمَّا رجع البطريرك مكاريوس الثالث الحلبي من رحلتهِ الى روسيَّة عقد سنة ١٦٥٩ مجمعًا في دمشق لفحص دعوى ابن عميق كما روى ذلك الارشدياكن بولس ابن البطريرك مكاريوس في خبر رحلة والدهِ (٢

١٥ (مكاريوس) اخبر القس يوحنَّا عجيمي في كتاب التواريخ المليَّة (تختيكون) (ص٣١٦—٣١٧ من نسخة المكتبة الشرقيَّة) « انَّ كيرلس الخامس كان تابعًا للايمان الكاثوليكي لكنهُ لم يتظاهر بهِ كما فعل افثيميوس (صيفي) مطران صور وصيدا وسلبسترس (دهّان) اسقف بيروت وبرثانيوس اسقف بعلبك ومكاريوس اسقف طرابلس وغيرهم والجميع قدَّموا صورة ايمانهم للكرسي الرسوليّ وكانوا يكاتبون البابا الرومانيّ ويتخذون منهُ جوابًا » . وكان مكاريوس المذكور واحدًا من الاساقفة الذين وقَّعوا على اعمال مجمع طرابلس سنة ١٦٨٠ كما روى الخوري كيرلس حدَّاد الباسيلي المخلّصي في تاريخهِ المخطوط (ج ١ ف ٢). امَّا اعمال هذا المجمع فمفقودة

١٦ (يواكيم) اسقف طرابلس كان في اواخر القرن السابع عشر رواهُ جرلسيم بلّاد البطريرك الاسكندريّ في تختيكون الكنائس الارثذكسيَّة الذي كتبهُ نحو سنة ١٧٠٠ فنشرتهُ مجلَّة الجمعيَّة التاريخيَّة اليونانيَّة (٣

١٧ (جراسيموس) جاء في قائمة المخطوطات العربيَّة المصونة في مكتبة القبر المقدَّس (٤ وصف كتاب موسوم بالعدد ٨٢ فيهِ ليتورجيَّة القديس يوحنَّا فم الذهب

---

١) (ص ١٠٩—١١٤ من نسخة المكتبة الشرقيَّة وفي الصفحة ٥٢ من النسخة المطبوعة)

٢) اطلب الطبعة الانكليزيَّة (Belfour: *The Travels of Macarius*, II, 459)

٣) اطلب المجلد الثالث منها (Δέλτιον, III (1889). p. 474)

٤) كتبها كلاوفاس كيكيلدس (Cléopas Kykylides, p. 73)

وطقس البروجيازمانات وناسخ هــذا الكتاب هو « جراسيموس مطران طرابلس سنة ١٧٩٧ »

وكان عدد الكاثوليك في ابرشيَّة طرابلس قليلًا بين الروم في القرن التاسع عشر ولذلك لم يعينوا لها مطرانًا . وانَّما اقيم عليها فقط اسقفان شرقيَّان وهما :

١٨ (اثناسيوس توتونجي) كان هذا من كهنة حلب العالميين اسمهُ يوسف ففي يوم عيد العنصرة من السنة ١٨٣٦ رسمهُ البطريرك الطيِّب الذكر مكسيموس مظلوم اسقفًا شرفيًا على طرابلس واقامهُ رئيسًا على مدرسة عين تراز بدلًا من القس باسيل شاهيات الباسيلي الحلبي الذي سقَّفهُ على زحلة (١ . ثمَّ أُهملت مدرسة عين تراز في السنة ١٨٤٠ فعاد السيّد اثناسيوس الى حلب وفيها توفي في ٢٩ شباط سنة ١٨٧٤

١٩ (بولس مسدّيه) هو كسرى بن جبرائيل مسدّيه من اعيان دمشق ولد في الفيحاء في ١ ك ١ سنة ١٨٣٦ . وفي ١٤ ايلول ١٨٥٤ سيم شمَّاسًا وتسمَّى بولس ودخل في جملة الاكليروس البطريركيّ . ثمَّ رُقّي الى رتبة الكهنوت سنة ١٨٦٤ . ثم دعاهُ البطريرك غريغوريوس الثاني يوسف الى معاونتهِ وسقَّفهُ على طرابلس في ٩ كانون الاوَّل سنة ١٨٧٩ وتولَّى النيابة البطريركيَّة مدةً بعد مكاريوس حدَّاد توفي في ٢٣ آب سنة ١٨٩٥ وجمجمتهُ في دير الرهبان الحلبيين في مكّين

٢٠ (يوسف الدوماني) لمَّا كثر عدد المنتمين الى الايمان الكاثوليكيّ في جهات طرابلس وعكَّار انتدب البطريرك غريغوريوس الثاني يوسف احد افاضل رهبان دير المخلص السيّد يوسف الدوماني فوكل اليهِ تدبير كرسيّ طرابلس وسقَّفهُ في ٢١ آذار ١٨٩٧ وهو راعيها الحالي وسيادتهُ قد وُلد سنة ١٨٥٠ وانتظم في الرهبانيَّة المخلصيَّة في ايلول سنة ١٨٦٦ ودرس في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير انسأ الله في اجلهِ

(انتهى كرسي صور)

---

١) راجع اعمال الرهبانيَّة الشويريَّة في تاريخ السنة ١٨٣٦

الآداب العربية في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

وكانت العربيَّة في خاتمة القرن الثامن عشر لا تزال معزَّزة في انكلترَّة في كليتي كمبردج واكسفرد. وكان في اكسفرد مطبعة عربيَّة شهيرة نُشرت فيها كتب شرقيَّة متعدّدة نخصّ بالذكر تآليف ادورد پوكوك (E. Pocock) (١٦٠٤—١٦٩١) وابنهِ توما. وكان ادورد رحل الى الشرق وسكن مدَّةً في حلب ثمَّ درَّس في اكسفرد ونشر تاريخي ابي الفرج ابن العبري وسعيد بن بطريق. ونال الشهرة بين الانكليز في الشرقيَّات في خاتمة القرن الثامن كَرْليل (J. D. Carlyle) (١٧٥٩—١٨٠٤) ساح في بلاد الشرق ثمَّ تولَّى تدريس العربية في كليَّة كمبردج. لهُ كتاب في آداب العرب وشعرهم في الانكليزيَّة ونقل الى اللاتينيَّة قسماً من مورد اللطافة لجمال الدين ابن تغري بردي. وكذلك اشتهر معاصرهُ يوسف وَيت (J. White) (١٧٤٦—١٨١٤) من علماء اوكسفرد الذي نشر لاوَّل مرَّة كتاب عبد اللطيف البغدادي في الامور المشاهدة بمصر سنة ١٧٨٩ ثمَّ نقلهُ الى اللاتينيَّة سنة ١٨٠٠ ولهُ غير ذلك

امَّا الهولنديُّون فكانوا في ذلك العهد يمشون في درس العربيَّة على آثار اسلافهم الافاضل كغوليوس (Golius) (١٥٩٦—١٦٦٧) وارپنيوس (Erpennius) (١٥٨٤—١٦٢٤) وشولتنس (A. Schulteus) (١٦٨٦—١٧٥٠) وابنهِ جان جاك (J. J. Schultens) (١٧١٦—١٧٧٨) وكلّهم من المبرّزين جعلوا مدينة ليدن كمنار الآداب الشرقيَّة وابرزوا في مطبعتها المؤلّفات العديدة التي اصبحت اليوم عزيزة الوجود يتزاحم العلماء في اقتنائها كتاريخ جرجس ابن المكين المعروف بابن العميد وسيرة صلاح الدين الأيوبي لابن شدَّاد وتاريخ تيمور لنك لابن عربشاه وامثال الميداني ومطبوعات اخرى جليلة. وممَّن اشتهروا من الهولنديين في اواخر القرن الثامن عشر هيتسما (A. Haitsma) نشر سنة ١٧٧٣ مقصورة ابن دريد ونقلها الى اللاتينيَّة وذيَّلها بالحواشي. ومنهم شَيد (J. Scheid) (١٧٤٢—١٧٩٥) نقل صحاح الجوهري الى اللاتينيَّة والَّف كتاباً في اصول العربيَّة ونشر منتخبات ادبيَّة شتَّى

واشتهر من النمساويين في نهاية القرن الثامن عشر في درس الآثار الشرقية فرنسوا دي دومباي (F. de Dombay) (١٧٥٦—١٨١٠) نشر تاريخاً للعرب ثم انقطع الى درس احوال مرّاكش فابرز عدَّة آثار مختصَّة بتلك البلاد كتاريخ ابن ابي زرعة ونقود مرّاكش وغير ذلك . واصاب الكاهن جان ياهن (J. Jahn) (١٧٥٠—١٨١٦) شهرة في تدريس اللغات الشرقية في ڤينة ولهُ من التآليف غراماطيق عربيّ ومعجم عربي لاتيني ومجانٍ ادبيَّة

وكان الدنيمركيُّون ايضاً قد وجَّهوا بانظارهم الى الشرق فاشتهر منهم في آخر القرن الثامن عشر نيبوهر (C. Niebhur) (١٧٣٣—١٨١٤) الذي طاف في انحاء جزيرة العرب ودوَّن ملحوظاتهِ واخبار رحلتهِ في ثلاثة مجلَّدات اضاف اليها مقالات حسنة في عادات الشرق واحوالهِ . ومنهم جرج زويغا (G. Zoëga) (١٧٥٣—١٨٠٩) خرج من بلاد دنيمرك وتوطَّن رومية العظمى وصار كاثوليكيًّا وانقطع الى درس الآثار الشرقيَّة لاسيما آثار مصر

ولم ينطفئ منار العلوم الشرقية بين الاسبانيين والبرتغاليين وخصوصاً الرهبان . وممَّن عُرف منهم الراهب الفرنسيسيّ كانيس (Fr. Canes) (١٧٣٠—١٧٩٥) عاش مدَّةً في فلسطين والشام ودرَّس العربية لمرسلي رهبانيَّتهِ وقد صنَّف كتباً مدرسيَّة في الاسبانيَّة لتعليم العربيَّة . اخصُّها غراماطيق ومعجم المفردات ومختصر التعليم المسيحي . وفي عهدهِ كان الراهب حنَّا سوزا (J. Souza) (١٧٣٠—١٨١٢) ولد في دمشق من ابوين برتغاليين وتخرَّج على يد المرسلين ثمَّ رحل الى وطنهِ ودخل الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة وعلَّم اللغة العربية في لشبونة . ومن مطبوعاتهِ كتاب الالفاظ البرتغالية المشتقَّة من العربية . وكتاب نحو العرب ونصوص عربية لمؤرخي العرب في امور البرتغال

وكذلك الايطاليُّون فانهم لم يسهوا عن درس لغات الشرق ومآثرهِ فربح منهم شكر العموم غريغوريو روزاريو (R. Gregorio) الكاهن البالرمي (١٧٥٣—١٨٠٩) الذي تفرَّغ لدرس آثار صقلية وتاريخها واحوالها لاسيَّما في ايام العرب فألَّف في ذلك التآليف الواسعة في عدَّة مجلَّدات ضخمة نخصّ منها بالذكر كتابهُ « الآثار العربية في تواريخ صقلية » ضمَّنهُ كتابات ونقوشاً واوصافاً غاية في الفائدة — وعُرف الكاهن الرحَّالة ج . ماريتي (G. Mariti) (١٧٣٦—١٨٠٦) زار بلاد فلسطين والشام

ومصر ودوّن اخبار رحلته وعنها نقلنا في المشرق (٨ : ١٥١ و ٤٠١) وصفةُ لدير القلعة وكذلك كتب في تاريخ الصليبيين وغير ذلك

ولا يجوز لنا في هذا النظر الاجماليّ عن حالة العلوم الشرقية في ختام القرن الثامن عشر أن ننسى ما كان لمواطنينا من الفضل في نشر الآداب الشرقية في اوربة : فان ذلك القرن هو قرن الساعنة الذين أشير اليهم بكل بنان فصار اسمهم مرادفًا للنشاط في تذليل العقبات واحياء مفاخر الشرق. اوّلهم وامامهم المونسنيور يوسف سمعان السمعاني (١٦٨٧–١٧٦٨) رئيس اساقفة صور صاحب المكتبة الشرقية وتآليف أُخرى لا تُحصى(١). ثمَّ اسطفان عوّاد السمعانيّ نسيبهُ (١٧٠٩–١٧٨٢). ثمَّ يوسف لويس السمعاني (١٧١٠–١٧٨٢) ثمَّ شمعون السمعاني ١٧٥٢–١٨٢١) وكان كلّ هؤلاء تلامذة المدرسة المارونية في رومية واثارًا طيبةً من دوحتها الفاخرة تُعدّ تآليفهم بالمئات بين مطوّلة وقصيرة . وكان معظم اهتمامهم في نشر الآثار السريانية لكنّهم ايضًا اخرجوا من زوايا النسيان عدّة تآليف عربية لاسيما في التاريخ والمآثر الدينية والادبية . وسنعود الى ذكر الاخير منهم الذي يدخل في دائرة مقالتنا اذ لم يمت الّا في العشر الثاني من القرن التاسع عشر . ومن هؤلاء الشرقيين الذين شرّفوا الآداب في اواخر القرن الثامن عشر القس ميخائيل الغزيريّ وهو ايضًا من تلامذة الآباء اليسوعيين في المدرسة المارونية رافق السمعاني وحضر معهُ المجمع اللبنانيّ سنة ١٧٣٦ ثمَّ درّس اللغات الشرقيَّة وتعيَّن ترجمانًا لملك اسبانيا كرلوس الثالث ومن اعماله الاثيرة وصف المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريال قرب مجريط وهذا التأليف مجلّدان كبيران يدلّان على سعة معارف صاحبهما طُبعا من سنة ١٧٦٠ الى ١٧٧٠ باللاتينيَّة والعربية — واشتهر منهم ايضًا في ڤينَّة عاصمة النمسا الخوري انطون عريضة الطرابلسي وعلّم فيها اللغات الشرقية ولهُ من التآليف كتاب علم صرف العربيَّة ونحوها وضعهُ لتلامذته في اللاتينية وطبعهُ سنة ١٨١٣ في ڤينَّة

وفي هذا النظر العموميّ كفايةٌ ليعرف القرّاء حالة الدروس العربية في منتهى

---

١) اطلب ترجمتهُ وجدول تآليفهِ في برنامج اخويَّة القديس مارون للاديب يوسف افندي خطّار غانم (ص ١٠٥–١١٢). اطلب ايضًا كتاب سفر الاخبار في سفَر الاحبار للخوري يوسف الدبس (٢٠٩–٢١١)

القرن الثامن عشر وانما يترتَّب علينا الآن ان نقتصّ آثار الكتبة الذين زيَّنوا الآداب بحلية معارفهم واغنوها بثمرات اقلامهم ومصنَّفاتهم وانّنا نقسم ذلك فصولاً ليسهل على المطالع تتبُّع التفاصيل التي نثبتها فيحرزها دون عناء ويعرف ما لكل كاتب من المزايا والاعمال

٣ الآداب العربيَّة في غرَّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٣٠

كان افتتاح القرن التاسع عشر في أيام السلطان الغازي سليم خان الثالث وكان من افضل ملوك عصرهِ دمث الاخلاق مغرماً بالآداب محبًّا لترقية رعاياه في معارج الفلاح. ثمَّ صار الملك الى ابن اخيهِ السلطان مصطفى خان الرابع الذي لم يملك اكثر من سنة فضبط من بعدهِ سنة ١٨٠٨ زمام السلطنة اخوه محمود خان الثاني فطالت مدَّتهُ وكان كالسلطان سليم هائماً بترقّي شعبهِ ساعياً في اسباب نجاحهِ في فنون الآداب وللشاعر نقولا الترك قولهُ يوم جلوسهِ:

تولّى التخت سلطان البرايا وايَّدهُ الالهُ بمرتقاهُ
فصاح الكون لمَّا ارَّخوهُ نظام الملك محمودٌ جاهُ

ومن مساعي السلطانين سليم ومحمود المشكورة تعزيزهما لفنّ الطباعة في دار السعادة فطُبعت فيها عدَّة تآليف عربيَّة فضلاً عن المصنَّفات التركية . ويبلغ عدد المصنَّفات العربيَّة التي نُشرت بالطبع في هذه الثلاثين سنة نيِّفاً واربعين كتاباً كقاموس المحيط للفيروزابادي (١٨١٤) مع شرحهِ في التركيَّة وكحاشية السيلكوتي على مطوَّل التفتزاني (١٨١٢) ومراح الارواح لاحمد بن علي بن مسعود مع مجموع تآليف أُخرى نحويَّة وصرفيَّة (١٨١٨) وكافية ابن حاجب (١٨١٩) وغير ذلك ممَّا مرَّ لنا ذكرهُ في مقالتنا عن فنّ الطباعة في الآستانة (المشرق ٣: ١٧٤ــ ١٧٩) وفي ملحق تاريخ تركيا للمؤرخ الالماني هامّر (J. de Hammer) جدول هذه المطبوعات كلها في ٩٧ عدداً (اطلب المجلد ١٤ ص ٤٩٢ــ٥٠٧) . وكان الولاة يساعدون السلاطين العظام في ادراك غاياتهم الشريفة في جهات المملكة كسليمان باشا في عكَّا ويوسف باشا كنج في دمشق وداود باشا في بغداد وغيرهم

وكذلك في مصر كان محمَّد علي باشا راغباً في نشر المعارف فاستعاد الادوات الطبعيَّة التي كان الفرنسويّ مرسال اتخذها في أيام بونابرت وانشأ مطبعة بولاق الشهيرة

سنة ١٨٢٢ وكان اوّل كتاب طُبع في تلك السنة قاموس ايطالياني عربيّ وأُردف في السنة التالية بكتاب قانون صباغة الحرير. ومطبوعات بولاق الى سنة ١٨٣٠ تربي على الخمسين في اللغات الثلاث العربيّة والتركيّة والفارسيّة (١ الّا انّ الكتب العربيّة المهمّة لم تُطبع الّا بعد هذه المدّة وانّما جُدّدت في الغالب المطبوعات المنشورة قبلًا في الاستانة

وما يُقال اجمالًا في هـذا القسم الاوّل من القرن التاسع عشر انّ الذين اشتهروا فيهِ كانوا ابناء انفسهم لم يتعلّموا في مدارس منظّمة بل نبغوا بشغلهم الخاص تحت نظارة بعض الافراد الذين سبقوهم في دواوين الكتابة ودوائر الانشاء

ونبتدئ هنا بذكر الكتبة الذين خصّوا نفوسهم في تصنيف التاريخ فنقول: انحصر التاريخ بين ادباء المسلمين في بعض الافراد الذين لا يتجاوز عددهم اصابع اليد فذكرنا منهم (ص ٢٤٤) الشيخين عبد الله الشرقاوي وحسين ابن عبد الهادي. وممّن يضاف اليهما السيّد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشّاب المتوفى في ٢ ذي الحجّة سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) كان مولعًا بالدروس الادبيّة واخبر الجبرتي في تاريخهِ (٤: ٢٣٨) «انّ الفرنساويّة عيّنوهُ في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيهِ كلّ يوم لانّ القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليوميّة في جميع دواوينهم واماكن احكامهم ثمّ يجمعون المتفرّق في ملخّص يُرفع في سجلّهم بعد ان يطبعوا منهُ نسخًا عديدة يوزّعونها في جميع الجيش حتّى لمن يكون منهم في غير المصر من قرى الارياف فتجد اخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم. فلمّا رتّبوا ذلك الديوان كما ذُكر كان هو المتقيّد برقم كلّ ما يصدر في المجلس من امر او نهي او خطاب او جواب او خطأ أو صواب وقرّروا لهُ في كل شهر سبعة آلاف نصف فضّة فلم يزل متقيدًا في تلك الوظيفة مدّة ولاية عبدالله جاك منو (Menou) حتى ارتحلوا من الاقليم» فهذه كما ترى جريدة يوميّة وهي اوّل جريدة ظهرت في العربيّة وكان الجبرتي رأى منها عدّة كراريس. وذكر ايضًا لاسماعيل الخشّاب ديوان شعر صغير الحجم جمعهُ صديقهُ الشيخ حسن العطّار

واشهر من هؤلاء في التاريخ العلّامة عبدالله بن حسن الجبرتي وُلد في مصر ١١٦٧ (١٧٥٣–١٧٥٤) كما ذكر في تاريخهِ (١: ٣٠٢) وروى هناك بعض ما حدث

---

١) اطلب المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (Journ. As. 1843, II, 31–38)

لهُ في صباه وكان من طلبة الازهر · جعلهُ بونابرت من كتبة الديوان فاحرز لهُ عند الجميع اسماً طيباً · وانقطع الى الكتابة والتأليف · وفي آخر حياتهِ قُتل احد اولادهِ في حي شبرا فبكاهُ بكاء مرًّا افقدهُ البصر ولم يلبث ان تبعهُ في القبر · وقال كاتب فهرست مخطوطات المكتبة الخديوية (٥ : ٨٣) انهُ توفي مخنوقاً في رمضان سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢) · وقد جعل المسيو هوارت في تاريخ الآداب العربية (١ مولدهُ سنة ١٧٥٦ ووفاتهُ سنة ١٨٢٥ وفي كليهما غلط · اما تاريخهُ فيدعى عجائب الآثار في التراجم والاخبار ضمَّنهُ حوادث مصر التي جرت في اواخر القرن الثاني عشر واوائل الثالث عشر جارياً في ذلك على سياق السنين منذ فتوح السلطان الغازي سليم خان الاوَّل للقطر المصري الى غاية سنة ١٢٣٦ ذاكرًا للوقائع المعتبرة مع تراجم الاعيان المشهورين وقد ادخل فيهِ قسماً كبيرًا من تاريخ آخر وصف فيهِ وقائع بعثة بونابرت الى مصر دعاهُ « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » كتبهُ سنة ١٢١٦ (١٨٠٢) · وتاريخ الجبرتي قد نُقل الى الفرنسيَّة منذ عهد قريب بهمَّة بعض افاضل نصارى مصر وهم شفيق منصور بك وعبد العزيز كحيل بك وجبرائيل نقولا كحيل بك واسكندر بك عمون · وقد ترجم الفرنسوي كردين (A. Cardin) تأليفهُ الآخر مظهر التقديس

وممَّن كتبوا في التاريخ الشيخ ابو القاسم بن احمد الزيَّاني كان من عمَّال مراكش متوليًا على مدينة وجدة · ثمَّ اعتزل الاشغال في تلمسان وألَّف سنة ١٨١٣ كتاب الترجمان المعرَّب عن دُول المشرق والمغرب طبع منهُ الاستاذ هوداس (O. Houdas) الفرنسوي قسماً منهُ يتناول تاريخ مرَّاكش من السنة ١٦٣١ الى ١٨١٢ · والباقي لا يزال مخطوطاً · ولهُ كذلك كتاب البستان الظريف في دولة مولاي عليّ الشريف »

وللكتبة النصارى في هذه الاثناء بعض التواريخ يترتَّب علينا ذكر اصحابها · واوَّل من اشتهر في ذلك القس حنانيا المنيّر احد رهبان الرهبانيَّة الحناويَّة الشويريَّة · ولد المذكور في زوق مصبح سنة ١٧٥٧ · وترهَّب سنة ١٧٧٤ · اما بقيَّة اخبارهِ في الرهبانيَّة فلا نعلم منها شيئاً كما اننا نجهل سنة وفاتهِ · وممَّا يظهر من مآثرهِ ومصنَّفاتهِ انهُ كان رجلًا اديباً كثير الاطّلاع سليم الذوق نشيطاً في جمع الآثار والاخبار عارفاً بفنون الكتابة يُحسن النثر والشعر · وكان ذلك نادرًا في زمانهِ . وقد نعت نفسهُ في كتاب لهُ

(١) اطلب (Ch. Huart : *Littérature arabe*, 415-416)

عن الدروز بالطبيب ما يدلّ على انهُ كان يتعاطى الطب. امَّا اخصّ تآليفهِ فتاريخان الاوَّل مدنيّ سبق لنا وصفهُ في المشرق (٤: ٤٢٨ و ٩٧٢) وهو تاريخ الدرّ المرصوف في حوادث الشوف أثبتنا منهُ مقدّمتهُ وبعض فقراتهِ. وهذا التأليف يتناول الوقائع التي جرت في لبنان من السنة ١٠٠٩ هـ. (١٦١٧ م) عند ظهور الامراء الشهابيين الى السنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) وهو يتّسع خصوصاً في حوادث الجبل والساحل في الاربعين السنة الاخيرة. وهذا التاريخ قد استفاد منهُ الامير حيدر الشهابيّ في تاريخهِ الشهير المعروف بالغرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان والشيخ طنّوس الشدياق في كتاب تاريخ الاعيان في جبل لبنان

أما التاريخ الثاني فهو تاريخ دينيّ قد جمع فيهِ المؤلف اخبار الرهبانيَّة الحنَّاويَّة منذ اواسط القرن الثامن عشر الى نهاية السنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م). وليس هذا التاريخ كلهُ دينيًّا فانَّ فيهِ ايضاً اموراً عديدة تختصّ باخبار الامراء واحوال لبنان وبلاد الشام والقطر المصريّ. والكتاب عبارة عن ٢٠٠ صفحة تقريباً وكلا التاريخين نادر قد امكننا الحصول على نسخة منهما فاستنسخناهما لمكتبتنا الشرقيَّة. ولابن المنيّر ذلك من التآليف الشعريَّة والادبيَّة نذكرها في باب الأدب (لهُ بقيَّة)

اثر جديد لأعمال القديس جرجس الشهيد

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ

كتبنا في المشرق (٦: ٣٨٥ و ٥٢٦) مقالة عن القديس جرجس الشهيد العظيم في نسبة المئة الثالثة عشرة من استشهادهِ وقلنا هناك انَّ غاية ما يُعرف من امر هذا القديس انهُ مات شهيدًا في عهد ديوقلطيانوس قيصر في اوائل القرن الرابع للمسيح. ثمَّ اثبتنا ملخَّص قصَّتهِ الشائعة في سوريَّة وما بين النهرين وقتلهُ للتنين في بيروت. لكنَّ لهذا القديس قصَّة أخرى مختلفة جدًّا عمَّا روينا سابقًا تجدها مسطَّرةً في سنكسار الاقباط. ولهم في ذلك خطبة يتلونها يوم عيدهِ في ١٨ برمهات دوَّناها في المشرق (٦: ٣٩٣) وفي هذه الخطبة اشارة الى عجائب ومعجزات كلها من الغرابة في مكان. ومما يجدر بنا ذكرهُ انَّ القصَّة كما هي مزبورة في تلك الخطبة قد شاعت بين العرب فرواها احد قدماء مؤرخيهم المعدودين وهو ابن جرير الطبري في تاريخهِ

الرُسل والملوك (١ : ٧٩٥–٨١٢) وكذلك رواها بتفاصيلها الثعلبي في كتاب قصص الانبياء المعروف بالعرائس (ص٣٧٧–٣٨٣) ثم وقفنا على مخطوط اسلامي وقع في يدنا في هذه السنة عنوانهُ بغية السائلين في ٣٨ باباً يحتوي اخبار الرسل والانبياء لكاتب قديم لم يُذكر اسمهُ ففي الفصل ٢٥ منهُ قصة القديس جرجس نثبتها هنا بحرفها الواحد ليعلم القرَّاء ما ابتدعهُ الكتبة القدماء تنويهاً بذكر ذلك الشهيد العظيم

« كان ملكٌ كافرٌ بارض الموصل وكان اسم ذلك الملك دادیانة (١ وكان يدَّعي بعبادة الاصنام وكان قد صنع لهُ صنماً من الذهب الاحمر والجواهر واسم ذلك الصنم افلُون وهو من الجواهر والحبوب وقد ألبسهُ من الحليّ والحلل وقد صنع على رأسهِ تاجاً من الذهب الاحمر . ولمَّا رقي الى سرير ملكهِ اخذ الصنم معهُ وجمع ذلك الملعون حطباً وأوقد ناراً فيها وجمَّع الخلق وقال : كلكم اسجدوا لافلون ومَن أبى منكم من السجود وزعم معبوداً غيرهُ أَلقيتهُ في هذه النار ليُحرق

« واما جرجيس فكان رجلاً من مدينة فلسطين وكان رجلاً تاجراً وكان لهُ مال كثير فلمَّا وصل الى الموصل وقد عمد على هدية لاجل الملك دادیانة حتى يكون لهُ عنده وجهٌ كان من قضاء الله وقدرته انَّ الملك داديانة كان قد جمَّع الخلق كما ذكرنا اوَّلاً وأوقد النيران . فقال جرجيس لواحدٍ من الخلق : مابال الخلق عاكفون عند الملك . فقصَّ عليهِ قصَّة الملك . فقال جرجيس عليهِ السلام في نفسهِ : هذا اليوم لا ينفع مال ولا بنون الَّا من أتى الله بقلبٍ سليم هذا الجهاد في طاعة الملك الجوَّاد اليوم ابذل نفسي في طاعة الله تعالى وأخلص الخلق من إفك هذا الملعون الكافر وارضى بما يصنع بي هذا وأرضي خالقي وعمد جرجيس الى امواله وفرَّقها على الفقراء والمساكين ودخل على الملك داديانة وقال : يا ملك ما هذا الذي قد صنعت وما تأمر عباد الله بهِ من الكفر وقد اخذتَ قطعة من الحجر في يدك وتقول للخلق : اسجدوا لهُ من دون الله . فان السجود لا ينبغي لاحدٍ الَّا لله عزَّ وجلَّ الذي خلق الليل والنهار والسموات والارض وما بينهما وهو خالق الخلق ورازقهم وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

« قال فلمَّا سمع الملك كلام جرجيس النبيّ اغتاظ وتغيَّر لونهُ واصفرَّ وجههُ وانعقد

١) داديانة إمَّا دقيان او دقيوس وإمَّا تصحيف دقلطيان وكلاهما من ملوك الروم لم يملكا على الموصل

لسانهُ فقال لجرجيس : مَن انتَ يا رجل ومن اين اتيت وما دينك ولمن تعبد ومَن الملك حتى تكلّمني بمثل هذا الكلام . ثمَّ امر بقبض جرجيس فقبضوهُ واحضروا العصي ليضربوهُ وتركوهُ في سجن مظلم واتوا باربعة مسامير من الحديد وسمَّروا واحدًا في رجلهِ اليمنى وواحدًا في رجلهِ اليسرى وواحدًا في يدهِ اليمنى وواحدًا في يدهِ اليسرى وشدُّوهُ على لوح من خشب وضربوهُ بتلك العصي حتى هرئ جلدهُ على لحمهِ وهو لا يتغيَّر عن الحمد والثناء لربّ الآخرة والأولى ثم قلعوا المسامير من الحديد فوضعوهُ في النار حتى ابيضَّ واحمرَّ ثم اخرجوهُ من النار وسمَّروهُ في رأسهِ فذاب دماغهُ من ساعتهِ فسهَّل الله تعالى عليهِ ذلك العذاب

« فلمَّا رأى الناس ذلك من جرجيس ارتدَّ بعضهم عن عبادة الاصنام واقرُّوا بوحدانيَّة الله تعالى ثم شاع الخبر الى الملك فقال لهُ ارباب دولتهُ : ايها الملك اخرج جرجيس من هذا العذاب واحبسهُ في بعض المواضع الجباب حيث لا يعلم احد والَّا تقع في هذا اليوم الفتنة بين الخلق والعامَّة ويقتلون بعضهم بعضًا فامر الملك بحبس جرجيس وامر السجّان ان لا يطعمه ولا يسقيه فالقوا جرجيس في قعر جبّ واوثقوهُ وشدّوهُ والقوا عليهِ خشبةً عظيمةً وثقّلوا عليهِ حجارةً من الجبل حتى سُحق عظمه مع لحمه فلمَّا امسى عليهِ المساء ارسل الله اليهِ ملكًا فشال الخشبة والثقل الذي عليهِ واتاهُ بشيءٍ من الطعام فاكل وآنسهُ طول الليل فلمَّا اصبح الصباح اخذ بيدهِ واخرجهُ من السجن

« فقام جرجيس وسار نحوَ دار الملك وقال : يا ايها الملك ارفع عبادة الاصنام وادخل في طاعة الملك العلّام . فقال الملك : يا جرجيس مَن اخرجك من السجن . قال : أخرجني خالق الليل والنهار ومُسيِّر الفلك الدوَّار . فلمَّا سمع كلام جرجيس اغتاظ الملعون غيظًا شديدًا وامر ان يُنحت لهُ لوحان من الخشب وسمَّروه فيهما والقوه على رأس جبل يحرّشون الكلاب عليهِ لتأكل لحمهُ وتهشّم عظامهُ وقيل قطَّعوهُ اربًا اربًا في حال الحيوة والقوا لحمهُ للسباع لتأكله . فلمَّا اقبلت السباع نحوهُ بصبصت وولَّت على اعقابها مدبرةً ولم تأكل لهُ لحمًا ولم تشرب لهُ دمًا ولم تهشم لهُ عظمًا

« فلمَّا جنَّ عليهِ الليل ارسل الله اليهِ ملكًا فزال ما كان عليهِ من الثقل واتاهُ بطعام وشرابٍ وبشَّرهُ بالنبوَّة وقال أبشر ولا تخف من هؤلاء فانَّهم يقتلونك لاربع مرَّات والله عزَّ وجلَّ يحييك ويعيد الروح اليك . فلمَّا اصبح جرجيس سار الى دار الملك وقال :

ايهـا الملك اقرّ بالنبوَّة الوحدانيَّة لله تعالى فقال الملعون : كنتَ تدَّعي بدعوةٍ وصارت اثنتين كنت عاصياً اوَّل مرَّة ثم صرتَ تدَّعي بالولاية ثم ادَّعيتَ ثانياً بالنبوَّة ونظر نحوَ وزرائهِ وارباب دولتهِ وقال : ما يكون التدبير مع قتلنا اياهُ وتسليطنا عليه السباع ثمَّ احياه ربُّهُ وجاءنا يدَّعي بالنبوَّة . فنظر الوزراء بعضهم الى بعض وقالوا : بماذا نجاوب . فقام واحد من خواص الملك على قدميهِ ودعا للملك بما حضرهُ من دعائهِ وقال : مَن يسوم بتسليم جرجيس اليَّ حتى اعذبهُ واعدمهُ الحياة واخلّص الناس من مكره

ثمَّ ان الملك سلَّم جرجيس الى ذلك الشخص وقال : افعل معهُ ما شئت ولا تعودنَّ بهِ الينا حياً . فقام الملعون وصنع لهُ من النحاس صورة العجل وجعل جوفهُ بطيَّةٍ وحطّ في بطن ذلك العجل نفطاً وحطَّ جرجيس في جوف العجـل وألقى في ذلك النَّفط ناراً فخرجت روح جرجيس من جسده واحترق جسده وصار رماداً . فلمَّا امسى عليـهِ المساء ارسل الله اليهِ ملكاً واخذ تلك الصورة التي هي العجل ورفعهـا الى السماء ورماها على الارض فاهتزَّت الارض وارتجفت بلاد الموصـل وتقلقلت جبالها وبُهت الناس وهلك خلق كثير وخرج جرجيس من جوف العجل حياً باذن الله تعالى الحيّ الذي لا يموت وقال : الله اكبر . وسار الى دار الملك فوجد قدَّامهُ طعاماً يأكل فقال : يا ايها الملك اقرّ بوحدانيَّة الله تعالى وبنبوَّتي فانت أضعف عباد الله . فقال الملك : يا جرجيس ان كنت صادقاً فيما تقول فادعُ ربَّكَ ان يجعل اخشاب هذا الكرسي التي انا عليها وهذه الفاكهة التي آكل منهـا شجراً اخضر كما كانت اوَّل مرَّة . فقال النبيّ جرجيس : انا مستحي من ربّي ولكن اسئاله ذلك لتقرُّوا بوحدانيَّة الله ولا تنكروا

ثمَّ رمق بطرفه الى السماء ورفع يديهِ الى الدعاء وقال : يا عالم السرّ والنجوى انت تعلم ما قد طلب مني هذا الكافر . فما فرغ جرجيس من دعائهِ الَّا واخشاب الكرسي قد اخضرَّت ثم ازهرت واثمرت وكلّ خشب انبتت ثمرتهـا باذن الله تعالى . فلمَّا نظرت الكفَّار الى ذلك تحيَّرت عقولهم واندهلت قلوبهم فاوحى الله تعالى الى جرجيس ان : أنذر القوم وأوعدهم بالجنَّة والنار وان الله شديدُ العقاب وان الله غفور رحيم

فقام جرجيس من ساعته وانذر القوم بما أمر الله تعالى فقال الملك : يا جرجيس ان كنت نبيًّا صادقاً آمُركَ بشيء فان فعلت تكون صادقاً . فقال جرجيس : ومـا هو ذلك . فقال الملك : نخرج معك الى القبور فاحيِ لنـا زمرة منهم حتى يقرُّوا بربّك

ويشهدون بنبوّتك. فقال: جرجيس انهُ قادر على ان يحيي الموتى من مشرق الشمس الى مغربها في طرفة عين ولم يعجزه شيء. ثم قال: الهي يا حي يا قيوم يا باعث الارواح بعد موتها انت تعلم ؟! قالوا. فما أتمّ كلامهُ ودعاءهُ خرج من التراب سبعة عشر نفرًا والتراب ينتفض عن رؤوسهم منهم عشرة رجال وخمس نسوان واثنان صبيان فخرجوا من قبورهم ونظروا نحوَ الملك وقالوا: يا ايها الملك اقرّ بوحدانيّة الله وبنبوّة جرجيس ونحن كنّا مثلك وعلى دينك ولكنّا شهدنا من العذاب والحساب ما شهدنا وما عاد الندم ينفعنا. فنظر الملك نحو جرجيس وقال: ما هذا الّا سحرٌ عظيم يا جرجيس

« وقالوا له: يا نبيّ الله انّ هؤلاء ما لهم في الدين نصيب بل يا نبيّ الله لنا اليك حاجة اقضِها. قال جرجيس: وما هي حاجتكم. قالوا: ادع لنا ربّك ان يجعل لنا نصيبًا في دينك. قال لهم جرجيس: انتم خرجتم من الدّنيا بغير ايمان. قالوا: هو كذلك ولكن نريد ان نلقى معك الله يوم القيامة على الايمان. ثمّ انّ جرجيس عرض عليهم الدين فدانوا به. ثم انّ جرجيس قال لاهل القبور: ادخلوا قبوركم باذن الله عزّ وجلّ. وآمن جماعة من اصحاب داديانة

« ثمّ انّ الملك نظر نحو مائة رجل وقال: ما تنظرون الى هذا الساحر كلّما جئناهُ في باب يخرج من باب آخر فما لنا الّا أن نجوّعهُ حتى يموت من الجوع فانظروا في البلد مَن يكون فقيرًا فنحبسهُ عندهُ ونوصيه ان لا يطعمه شيئًا الى ان يموت جرجيس من الجوع فنظروا في البلد فوجدوا عجوزًا فانية فقيرةً ولها ابن اعمى فسلّموا جرجيس اليها وحبسوه عندها ووصّوها عليهِ ان لا تطعمه شيئًا فاقام جرجيس في بيت العجوز ثلاثة أيّام. ثم قال: يا عجوز هل عندك شيء من الطعام. فقالت: منذ اتيتَ داري ما خرجتُ في طلب الطعام فمن اين لي طعام. فقال لها: ان دعوتُ ربّي ان يرزقكم شيئًا من الطعام ويفتح عينَ ولدكِ بعد العمى فهل تدخلين في ديني. قالت العجوز: نعم. وكانتَ الدنيا وقت الغروب وكان في بيت العجوز شجرة يابسة لها عدة سبع سنين فدعا جرجيس ربّهُ فاخضرّت. واورقت من ساعتها باذن القادر ونبت فيها من كل ثمرة خلقها الله تعالى على وجه الارض وفُتحت عين ولدها بعد ما كان اعمى فصار جرجيس والعجوز وابنها يأكلون من الفاكهة التي انبتتها تلك الشجرة. فوصل الخبر الى الملك فاغتاظ الملك غيظًا عظيمًا واتى الى دار العجوز وشدّوه بين لوحين من حديد وسمّروهُ بمسامير من حديد طوال وركّبوا

المناشير على امّ رأسهِ ونشروهُ حتى صار شقَّين وجعلوا كل شقَّة في موضع وقطعوا لحمهُ وصار لحمهُ كبَّةً ثم رموا على لحمهِ نارًا فاحترق وصار رمادًا

« فلمَّا امسى المساء ارسل الله اليهِ ملكًا فأحياهُ باذن الله تعالى وقال: سِر نحوَ الملك. فسار جرجيس الى دار الملك والملك كان قد زيَّن البلد والسوقات وبشَّر الخلائق بخلاصهم من جرجيس فاذا جرجيس داخل منَ باب دار الملك فرآهُ بعض اصحاب الملك فقال: يا ملك قد جاء جرجيس. فدخل على الملك وقال: يا داديانة اترك عبادة الاصنام واعبد الواحد العلّام. فقال الملك: ما تنظرون الى هذا الساحر وقد ابتُلينا بهِ وقال: يا جرجيس قد بقي حاجة واحدة فان عملت بها عززتُك واكرمتك وارسلناك الى بلدك. قال جرجيس: ما هي. قال: غدًا نعمل ديوان ونجمع الخلق كلهم تقوم وتسجد لافلُّون سجدةً فاذا سجدتَ لهُ انا ادخل في دينك واقرّ بسعادتهِ. فقال: يا أيُّها الملك عليَّ بافلون حتى انظر اليهِ. فظنَّ الملك انَّ جرجيس قد صبا اليهِ فقال: هذه الليلة كن في ضيافتي. وقال جرجيس: يكون ذلك. فذهب جرجيس الى دار الملك واخرج لهُ شيئًا مّن الطعام فأكل ثم نام الملك فقامَ جرجيس وصلَّى ركعتين يقرأ فيهما الانجيل. فلمَّا سمعت زوجة الملك قراءة الانجيل ادركتها السعادة ورقَّ قلبها وآمنت من وقتها وآمن كل مَن كان حاضرًا عندها غير الملك

« فلمَّا اصبح الصباح قالت زوجة الملك: يا ملك ادخل في دين الله وأقرّ بنبوَّة جرجيس واترك عبادة الصنم افلُّون فانَّ جرجيس على الحقّ وانا آمنتُ ودخلتُ في دينهِ. فلمَّا سمع الملك كلامَها غضب عليها غضبًا شديدًا وقال لها: يا اسكندرة لهُ عندي منذ كذا وكذا يومًا يأمرني بذلك فما استطاع ان يزيحني عن ديني فانتِ في ليلة واحدة ضللتِ ودخلتِ في دينهِ. قالت: هذا من سعادتي وذلك من شؤمك وشقاوتك. فامر الملك ان يقطّعوا زوجتهُ اربع قطع وامر بقتل مَن حضر تلك الليلة في دارهِ وآمن معها. وامر باحضار الاصنام التي هي آلهتهم واحضروا ايضًا كبيرهم افلُّون وهو مصنوع من الذهب والفضَّة وأجلسَ الاصنام عندهُ على السرير الذي لهُ ووضع على رأس افلون تاجًا من الجوهر الغالي واقام تلك الاصنام قبالهُ وقال لهم: يا أيُّها الاصنام اسجدوا لربّي وربكم افلُّون. وقال: يا جرجيس اسجد الآن لربّي افلون حتى ادخل في دينك. فسكت جرجيس ساعة وقام قائمًا على قدميهِ ودقَّ برجليهِ الارض فغابت الاصنام فيها باجمعها باذن الله

تعالى وخرج ذاك الشيطان الذي كان يدخل في جوف ذلك الصنم ويتكلّم من جوفهِ مع الملك فقبض عليهِ جرجيس ولزم جرجيس ذلك الشيطان وقال لـهُ: يا ملعون الى كم تضلّ خلق الله تعالى عزّ وجلّ. واخذ جرجيس على ذلك الشيطان العهد الى يوم القيامة ان لا يدخل في جوف صنم قط

« فغضب الملك غضباً شديداً لمّا رأى تلك الاحوال وقال: اعطوني السيف حتى اقتل جرجيس واقطّعهُ قطعاً. فلمّا ايقن جرجيس بالغضب وقد اوعدهُ جبرائيل ان الملك يقتلهُ ويخرج روحهُ من جسده اربع مرّات وكانت هذه المرّة تمام الاربع علم أنـهُ ان خرجت روحهُ لن تعود الى جسدهِ مرّةً أخرى فرنق بطرفهِ الى السماء وقال: اللهمّ ربّي قبلَ موتي ما تصنع بهؤلاء الكفّار وكيف تريد تهلكهم فما استتمّ كلامهُ الّا واقبلت سحابة حمراء فامطرت على تلك البلدة ناراً فأحرقت الكفّار في ساعة واحدة باذن الله سبحانهُ وتعالى » . اه

فهذه القصّة مع كثرة ما ورد فيها من العجائب الغريبة التي رويناها على علّاتها لم تشر البتّة الى التنّين وكذلك الخطبة القبطيّة التي ذكرناها سابقاً وفي هذا السكوت دليل على انّ الرواية محلّيّة لم تُعرف في غير جهات فلسطين والشام. والقبط يروون قصّة التنّين لاحد شهدائهم المسمّى القديس تادروس ويذكرون مثلها للقديس مركوريوس الشهيد (١

زنبقة أيّار

للاخ بطرس سارة الراهب اللبنانيّ

أيا زنبق الوادي عليك بذا الحمى   تحيّتي اهديها اذا الريح نسّما
بحقّك مـا بالُ الرياض تبرّجت   وتخفق في أعلامُ السرور تنعّما
لِمَ القبّة الزرقاء تزهر سُرجها   تضيء الى الساري اذا الليل أظلما
علامَ اغاريد الطيور تناوبت   ومالي ارى الارضين تضحك والسما

---

١) اطلب بحثاً للمسيو اميلنو في شهادة القديس جرجس في القبطيّة وبحثاً ثانياً للاب ثرستون اليسوعي

Etude critique sur le martyre de St. Georges d'après le texte Copte (**Les actes des Martyrs Coptes**, par Mr Amélineau, pp. 241-572) — *Voir aussi* R. P. Thurston : **St George** (Month, *April*, 1892)

ويفترُّ ثغر الكون والارض ترتدي   وشاحاً من الزهر الجميـل منمنما
كأني بهـا اقمار روض تفتَّحت   فهبَّت من الاكمام تشبه الانجما
تفاخرُ اقمـار السماء بوردها   وفي وَجنات الورد نورٌ تضرَّما
وقطر الندى في أكؤسِ الزهر لؤلؤ   تجود بهِ عين الغمام تكرُّما
يفيض على الغبراء كالدرِّ دمعهُ   ليكـوها ثوبَ المفاخر مُعلما
فقام مليك الربع يزهو جمالـهُ   على سائر الازهار في حسنهِ سما
محيّاً على سولي وبالعيـد معجباً   وفي وجههِ الوضاح ثغرٌ تبسَّما
« هو عيدنا يا صاح ان كنت جاهلاً   ألا انظر فهاك الطيرُ قـام مرنّما
« هو شهر مرآة الطهارة امنا   فان لها في شهر أيار موسما
« بمنحةِ كفّيها وإثم يمينها   قد ابيضَّ مني الوجه والاصل قد نما
« فهذا هو سرّ الحبور بذا الحمى »   فلما اتمَّ الزنبقُ القول مُنعما
توارى بوسط الغاب ينشر عرفـهُ   تفوح بذاك العرف عفَّةٌ مريما
فقمتُ اجاري الزهر في سرّ عيدهِ   واحنيتُ رأساً للبتول مسلّما
عليكِ سلامُ الله من ملَكَ السما   أيا مريم البكر المنيضـة أنعما
سلامٌ بـهِ جبريلُ وافاكِ قائلاً   عليكِ غمام الروح حلَّ وخيَّما
سلامٌ عليكِ الربّ فيكِ ولم يزل   مطيعاً تناديهِ يجيب: مُري بما ...
مباركة بين النسا ومباركٌ   الهٌ غدا ضمن الحشا متجسما
سلامٌ أيا فخر الانام ومجدَهم   ويا زهرة الارضين سُرّت بها السما
سلامٌ ايا عرش الإلهِ وبكرَهُ   ويا مَن ولدتِ النور لمَّا تنسَّما
سـلامٌ ايا نجم السماء وشمسها   فبدَّد اركون الظلام فدمدما
سلامٌ ايا شمس الحقيقة والهدى   بنوركِ اضحى المرء يوماً معظَّما
سلامٌ أيا عذرا ويا امَّ ربّهـا   ويا آيةً عنها النبيُّ تكلّما
سـلامٌ أيا اعجوبة الدين والدُّنى   عجائبها جرَت الى الناس مغنما
سلامٌ أيا لمأهُ يا زنبق التقى   ويا من غدت للطهر في الكون معلما
عليكِ سلام الله مـا ذرَّ شارقٌ   وما بزغت شمس اهبُّ مسلّما
وان حلَّ بي خطبٌ اتيتكِ طالباً   وفيكِ غدوت العمرَ يا بكر مغرما

المتاحف واصلها

نبذة للاب لويس جلابرت مدرّس الاثار الرومانيَّة واليونانيَّة في المكتب الشرقي

سُررنا بما كتبهُ حضرة الاب انستاس الكرملي في عدد سابق في « اوَّل متحفة للهوامّ والحشرات انشاؤها عربيّ » فافادنا المكاتب الفاضل عمَّا عاناهُ احد وزراء القرن الرابع للهجرة ابو الفضل جعفر بن الفضل الشهير المعروف بابن حنزابه لانشاء متحفة جمع فيها عددًا من الهوامّ والحشرات لاسيَّما الافاعي والحيَّات والعقارب وما شاكلها · وهي فائدة تُذكَر فتشكَر · لكنَّ حضرة الاب بنى على هذا النصّ الذي وجدهُ عمارةً شاهقة لا يقوى على حملها الاساس الذي وضعهُ · وغاية ما امكنهُ ان يستنتج منهُ ان احد العرب كان هائمًا بحبّ الحشرات فجمع منها عددًا وافرًا كان يتلهَّى بالنظر اليها ويقضي الساعات في النظر الى حركاتها ودرس طبائعها

ولكن يا تُرى اين هذا من المتاحف التي انشأتها الدول او الجمعيَّات او بعض الخواصّ في كل فنون العلوم وضروب المعارف · ومن شروط المتاحف أن تكون لفائدة العموم فيسوغ لكل طالب علم ان يأتيها كلَّ ما شاء فيدرس المعروضات ويقابل بينها ويرسم صورها ويتَّخذها كمادَّةٍ لدروسهِ واساسٍ لابحاثهِ · امَّا مجموعة ابن حنزابة فكانت مجموعةً خاصَّة لا يستفيد منها غيرهُ ولعلَّ صاحبها ما كان يبغي منها سوى ترويح الفكر في اوقات الفراغ وتسريح النظر بمشاهدة بعض غرائب الحيوان · اما العموم فما كان ليقدم عليها بل كان يأنف من رؤيتها كما ترى من جواب ابن المدبّر لابن حنزابة (ص ٣٤٥)

ثم ان هذه المتحفة التي سعى بجمعها ابن حنزابة كانت محصورة في بعض الحشرات السامَّة خاصَّةً لاسيما العجيب من اجناس الحيَّات وانكبار منها ولم يُذكر انَّ جامعها اتى بغير الاجناس المصريَّة · وشتَّان بين هذا المجموع والمجموعات التي يحصّلها ارباب العلم بعد العناء الطويل لا من بلد واحد بل من كلّ البلاد لتتمّ فائدة المقابلة · فانَّ الاوربيين اليوم لم يتركوا فنًّا واحدًا او ضربًا من العلوم الطبيعيَّة وغيرها الَّا صرفوا المبالغ ليحرزوا كلّ ما وُضع في جميع الاقطار من متعلّقات ذلك الفنّ او ذلك العلم · وقد بلغ عدد هذه المتاحف ما لا يُحصى عدًا · مثالهُ متحفة الببغاوات في ڤيَنَّة فانَّ هناك منها مجموعًا يحتوي على المئين منها في انواع والوان واصوات غريبة عجيبة · ومتحفة الفَرَاش

(papillons) للاب دي جوانيس اليسوعي في باريس يحتوي الألوف المؤلفة من ضروب الفراش الزاهية الألوان العجيبة الاشكال ومنها ما يساوي لندرته مائة فرنك واكثر. وكذا قلْ عن متحف البسط والطنافس والسجّادات في باريس (les Gobelins) وعن مجموع اصناف النخل التي يتكلّف عليها امبراطور النمسا نحو مليونين فرنك في السنة

وزد على ذلك انّ متحفة ابن حتزابة تلفت بعد موته فلم نجد لها اثرًا بعد هذا اما المتاحف فيقوم باعمالها ولوازمها غالبًا جمعيات يزيدونها ثروةً وتحسينًا بعد منشئيها

هذا ما عنّ لنا من الملحوظات في مقالة حضرة الاب انستاس ولا نقول ذلك بخسًا بفضل العرب ولكن قيامًا بواجبات الحقّ وتنشيطًا لحضرته او لغيره ايضًا ليزيدوا بحثًا في هذا الامر ويجدوا ما هو اثبت لبيان المقصود من اهتمام العرب بجمع المتاحف . وانّما نحن لا نشكّ انّ بعض الدول العربيّة اهتمّت بمثل هذه المجاميع الفنيّة او العلميّة او الطبيعيّة فمنها ما كانت للعلوم ومنها ما كانت لرونق الدولة ولحاجات الملك . وناهيك ما ورد من ذلك في تآليف ابن الطوير والقزويني والقلقشندي والمقريزي . وهم يدعون الدور الجامعة لهذه التُّحف بالخزائن منها خزائن الكتب الجامعة لضروب التآليف (المشرق ٨:٩٢٦) وخزائن الجوهر والطيب والطرائف (خطط المقريزي ١ : ٤١٤) وخزائن الفرش والامتعة (١ : ٤١٦) وخزائن السلاح (٤١٧) وخزائن السروج والخيم (٤١٨) والبنود (٤٢٣) والاصطبلات وغير ذلك ممّا يأخذ وصفه بمجامع القلوب فلا يشك القارئ بان كل خزانة منها كمتحفة لا ينقصها شيء من غنى المتاحف وتوفّر اجناس محتوياتها . فهاك مثالًا من ذلك ممّا نقلهُ المقريزي عن كتاب الذخائر في خزائن الخيم

قال أُخرج فيما أُخرج من خزائن القصر عدّة لم تُحصى من أعدال الخيم والمضارب والقازات والمسطّحات والجركاوات والحصون والقصور والشراعات والمشارع والقساطيط المعمولة من الديبقيّ والمخمل والخسروانيّ والديباج الملكيّ والارمنيّ والبهنساويّ والكردوانيّ والجيّد من الحلبيّ وما اشبه ذلك من سائر الوانهِ وانواعهِ ومن السندس والطميم ايضًا منهُ المفيّل والمسبّع والمخيّل والمطوّس ومن سائر الوحوش والطير والآدميين من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة ومنها الساذج والمنقوش في ظاهره بغرائب النقوش بجميع آلاتها من الاعمدة الملبّسة انابيب الفضّة والثياب المذهّبة والنير المذهّبة من سائر انواعها والواتها والصفريّات الفضّة على اقدارها والحبال الملبّسة القطن والحرير والاوتاد وسائر ما يحتاج اليهِ من جميع آلاتها . . .

وما يقال في هذه الخزائن يصحّ ايضًا في الزهور والنباتات والاعشاب . وليت شعري

أيُصدَّق انَّ الخلفاء والاعيان حُرموا من الحدائق الجامعة لاصناف الزهور الحافلة بضروب الاشجار تنمو فيها النباتات بأشكالها. وعلى كلّ كيف امكن ابن العوّام ان يصنّف كتابهُ في الفلاحة ان لم يقف على ضروب المزدرعات او كيف قدر ابن البيطار ان يصف المفردات لو لم يعرفها فلا ريب انهما وجدا متحفةً نباتية جامعة انواع النباتات والاشجار فاستطاعا ان يصفا ماهيَّاتها وقواها ومنافعها ومضارّها . وممَّا يؤيد ذلك انَّ بعض الطبيعيين عُرفوا عند العرب باسم النباتيّ والعشّاب كضياء الدين ابي محمد عبد الله بن احمد المالقي وكأبي العبَّاس الغافقيّ لاشتغالهم بجمع شتات النبات وكذا يقال عن الدميري لوصف اشكال الحيوان . غير أنّا لا نعلم من امر المتاحف التي كانت فيها هذه النباتات والحشائش وضروب الحيوان الّا الزهيد اليسير فعسى احد الادباء يطَّلع على شيء من ذلك فيفيدنا عنهُ ما اصاب

ومع اقرارنا بفضل العرب في هذا الباب لا يمكنَّا ان نسلّم بقول حضرة الاب انستاس بانهم سبقوا من سواهم الى ذلك. وها نحن ندوّن هنا بعض ما نعلم من امر المتاحف عند القدماء ليتحقّق القرّاء انَّ القدماء انفسهم لم تفُتهم منفعة جمع الطرائف من كلّ المواليد الطبيعيَّة ومن المصنوعات البشريَّة و اوَّل واعظم متحفة للحيوان ورد ذكرها في قدم تاريخ العالم انَّما هي سفينة نوح اذ جمعت من البهائم والحشرات ما لم تحوهِ متحفةٌ في العالم. ثم امتازت بالمتاحف اممٌ جليلة كاليونان وقدماء المصريين والرومان . وكانت هياكلهم من اعظم المتاحف وابدعها يجمع فيها السدنة ما يقدّمهُ عبَّادها من التقادم وكانت هذه التقادم تُعرض في باحات الهيكل وفي اروقتهِ بنظام واتقان بحيث تروق العين الى نظرها

والاثريون وجدوا من هذه الذخائر القديمة ما لا يكاد يفي بهِ احصاء. فمن ذلك اوعية وادوات وآنية كانوا يستعملونها في الذبائح والمناسك الدينية كالأكآة والمزاهر والقماقم ومجامر البخور واكثرها بالذهب الابريز او بالفضة الخالصة وهي منقورة عليها التصاوير والنقوش البهيَّة

ومنها الحليّ والمصوغات كالأسوار والخواتم والقلائد والخلاخل وحُقَق العاج والمراوح واجناس الحرائر والاقمشة كانوا يحلّون بها تماثيل الآلهة في حفلات الاعياد

ومنها الاعمال النقشيَّة والحفريَّة كالحجارة الكريمة والتماثيل والدُّمى والتصاوير من

اعمال كبار المصوّرين والنحّاتين يتّخذون لها الرخام والحجر المحبَّب والشبَّه والذهب والفضَّة

ومنها ادوات الصنائع والاساحة كالخُوَذ والتروس والاقواس والجُعَب والمنازل

ومنها ضروب النقود على اختلاف انواعها وازمنتها

وكانت كل هذه المجاميع الثمينة تُعرض على صورة رائعة بكل هندام . وكان سدَنة الهياكل يضبطون قوائمها لئلَّا يُفقد منها شيء . وبعض هذه القوائم قد كُتبت على جدران الهياكل ومنها ما يستوعب صفحات كاملة ومئين من السطور مع ذكر اسم مهديها وثمن كل تحفة . امَّا تاريخها فيتراوح بين القرن الخامس والقرن الثاني قبل المسيح

فترى انَّ هذه المجموعات يمكننا ان تُحسب كمتاحف عموميَّة الَّا انَّها كانت متاحف دينيَّة . وكان للقدماء ما عداها مجموعات أُخرى تخصُّ الملوك او البلديَّات يعرضونها في النوادي العموميَّة يرتادها الزوّار من الوطنيين والاجانب امَّا لغاية علميَّة واما لترويح البال

فمن ذلك ردهةٌ كبيرة كانت في اعالي مدينة اثينة يدعونها خزانة التصاوير (Pinacothèque) اودعوا فيها عددًا وافرًا من صُور ارباب التصوير وقد وصف الجغرافي بوسانياس الردهة المذكورة مع ما فيها من الطرائف الجليلة

وكذلك في مدينة برغامة كان الملوك المعروفون باسم أتال انشأوا ناديًا واسعًا بنوهُ على مقربة من مكتبتهم الشهيرة . وجعلوا فيهِ متحفًا للصور والتماثيل جمعوها من كلّ انحاء البلاد وصرفوا عليها المبالغ الطائلة قيل انَّ أتال الثاني اشترى صورةً للمصوّر ارستيدس كانت تمثّل الإله باخوس بمبلغ ١٠٠ وزنة اعني بما يساوي من نقودنا ٧٥٠,٠٠٠ فرنك . وكانوا اذا لم يمكنهم الحصول على الصور الاصليَّة يرسلون مصوّرين او نقَّاشين ليأخذوا صورة الرسم او التمثال الاصليّ . وقد وجدوا كتابة في دلفي يُستفاد منها انَّ مالك برغامة كان ارسل مصوّرين لنسخ تصاوير بوليغنوتس المصوّر

وكانت المدافن المصريَّة لاسيما الملوكيَّة عبارة عن متاحف يجمعون فيها كلّ اصناف الجواهر والادوات والتماثيل حتَّى انَّ العقل يبقى في حيرة واندهال من ثروة تلك الطرائف واشكالها وألوانها . وقد وصف حضرة الاب مالون شيئًا من تلك الخبايا المكتشفة حديثًا (اطلب المشرق ٨ : ١٤٥, ٢٢٨; ٣٢١) . فليت شعري ايّ متحف يجمع اليوم كتلك الآثار التي وُجدت في الكرنك وثيبة (ص ٢٣٠—٢٣٣) . فانَّهم

في مخبأة واحدة وجدوا ٨٠٠ تمثال للاله اوزيريس ما خلا ٤٥٠ تمثالًا غيرها وقس على ذلك بقيَّة الآثار الموصوفة هناك

ولمَّا صار ملك العالم في يد الرومان جروا على اعقاب اليونان في جمع الآثار القديمة لاسيما اعمال الصناعة والتصاوير والدُّمى حتى انَّ الشاعر هوراس ينسب الى صنف من الجنون حبَّ بعض مواطنيه للآثار والتماثيل (Insanit veteres statuas Damasippus emendo) ومثلهُ قول سنيكا (circa tabulas et statuas insanimus) وقد جاءت آثار بمباي مؤيدة لهذا القول لكثرة ما وجدوا في بيوت اعيانها من المُلَح والطرائف وكان الذوات من الرومان كبمبيوس ويوليوس قيصر لم يكتفوا بان يزينوا قصورهم باشكال التُّحف بل انشأوا متاحف عموميَّة يزورها كلُّ من شاء ويتمتَّع بنظرها

وما نقولهُ عن الآثار الصناعيَّة يصدق ايضًا في مجموعات أُخرى طبيعيَّة كالنباتات والحيوانات . فانَّ دار التُّحف التي انشأها البطالسة في الاسكندريَّة لم تشمل فقط التصاوير والمصوغات بل كانت ايضًا تحتوي على حديقة غنَّاء فيها من النباتات والزهور والاشجار اعزّها وابهاها جمعوها من كل انحاء المعمور . وكان هناك قاعات رحبة فيها كلُّ الادوات الجراحيَّة والآلات الطبيَّة والرسوم المُعينة على درس التشريح . وكذلك كانوا خصُّوا قسمًا من تلك الابنية للحيوانات الغريبة الشكل التي كانوا يجلبونها من اقاصي البلاد . واخبر سترابون الجغرافيُّ (ك ١٧ ص ٧٦٤) انَّ البطالسة كانوا جعلوا رواتب للعلماء ولبعض الدارسين لينقطعوا الى درس التاريخ الطبيعي في تلك الحدائق . ومما يروى عن الرومان انَّهم كانوا يوفدون الوفود الى البلاد البعيدة ليجمعوا ضروب الحيوانات العزيزة الوجود لاسيما السباع فيعرضونها على مرأى الجمهور او يتَّخذونها للالعاب العموميَّة

فناشدتك الله اين كلُّ هذه المتاحف من مجموعة ابن حترابه ؟ ولا يظنَّ القارى انَّ هذه مباني التُّحف أُبطلت بسقوط الدولة الرومانيَّة فان ملوك الروم حفظوا كثيرًا من هذه عادات اليونان والرومان فجمعوا في قصورهم ضروبًا من محاسن المصنوعات وغيرها كانت عندهم بمثابة المتاحف الحاليَّة

وكذلك الاحبار الرومانيون كانوا جمعوا في جوار مقامهم ضروبًا من المآثر الدينيَّة والهبات السنيَّة كان المسيحيُّون يرسلونها اليهم من اطراف المعمور فرُصدت لها الحُجَر

الخاصة وكانت تُعرف هذه التحف بكنز القديس بطرس

ولمّا قامت دول الفرنج في القرون الوسطى كانت لكل دولة خزائن مختلفة كما ذكر المقريزيّ لدول الشرق وإن لم تكن هذه الخزائن في حصر القول متاحف عاميَّة . الّا انَّ الكتبة قد افادونا انَّ الاديرة الكبيرة والكنائس العظيمة كانت تحتوي في الغالب مجاميع ثمينة من آثار ومصوغات وآنية وجواهر كريمة كانت تزداد يومًا بعد يوم من كرم المحسنين حتى صارت بمثابة خزائن الطرائف . ثمَّ نُقلت هذه المجاميع بعدئذٍ الى المتاحف العموميّة وهي حتى اليوم قسمها الافضل

فهذه لمعةٌ وجيزة عن المتاحف واصلها لم يمكنّا الاتساع فيها لضيق المكان وانّما جعلناها كملحق لمقالة حضرة الاب انستاس وكتتمة لها

مطبوعات شرقية جديدة

Il Nasib nella Qasida Araba per **I. Guidi** (Extrait des Actes de XIV° Congrès des Orientalistes)

النسيب في الشعر العربيّ

هي نبذة حسنة في اللغة الايطاليّة قدمها المستشرق الايطاليّ المتفنن الاستاذ اغناطيوس غويدي لمؤتمر المستشرقين الاخير الذي عُقد في الجزائر. مدارها على مطلع القصائد العربية التي تُفتتح في الغالب بالنسب والتغزُّل . وقد بحث جناب الكاتب عن اصل النسيب وقدمهِ وشيوعهِ ليس فقط عند العرب لكن عند غيرهم ايضًا من الشعوب لاسيما قدماء اليونان. فاثاب الله الدكتور غويدي الذي لهُ اليد الطولى في كلّ الابحاث الشرقيّة مع تباين مواضيعها واختلاف مضامينها لا يفوتهُ منها شيء. ل . ش

LEIPZIGER SEMITISCHE STUDIEN II: 1. Assyrisch - Babylonische Briefe kultischen Inhalts aus der Sargonidenzeit, von **E. Behrens**; 2 Bilder u. Symbole babylonisch-assyrischer Goetter, von **K. Frank**, nebst einem Beitrag über die Goettersymbole des Nazimaruttas-Kudurru, von **H. Zimmern**. *Hinrichs*, 1906. 124+44 pp. *illustr.*

دروس سامية لبعض اساتذة ليبسك (المجلّد الثاني)

في وصفٍ سابق (المشرق ٩ : ١٨٥) بيَّنّا للقرّاء غاية هذه الدروس والافاضل المهتمين بنشرها . واليوم قد وافانا من مجلّدها الثاني قسمان يحتويان ابحاثًا في اديان البابليين

والاشوريين. فالقسم الاوَّل تولَّى نشرهُ الاستاذ بِهرنس (E. Behrens) ضمَّنهُ عدَّة رسائل بابليَّة راقية الى عهد سرغون وسلالتهِ واستخلص منها الفوائد التي من شأنها ان توضح احوال الدين في عهد البابليين وهناك نصوص شتَّى وردت في مكاتبات الخاصَّة ورسائل الافراد تصف الطرائق الدينيَّة بنوع حسّي بدون تصنُّع. وقد بيَّن المسيو بهرنس انَّ هذه المقاطيع الدينيَّة افضل من درس اسماء الأعلام لتعريف ديانة البابليين. لما يطرأ على الأعلام من الطوارئ المختلفة فتدلُّ في اوَّل امرها على اثر دينيّ ثمَّ تشيع فتبطل دلالتها ولا يعود المعنى الاوَّل يصلح لها بتمادي الزمان — امَّا القسم الثاني فهو للمسيو فرنك (K. Frank) مدارهُ على سلسلة انساب الآلهة البابلية وتبويبها وما بينها من العلاقة وما لكل إله من الرموز والشارات الدالَّة عليهِ دون غيرهِ. وقد صنع ذلك بدقَّة عجيبة فلا نظنّ انَّ احدًا من العلماء ينبذ المعلومات التي توصَّل اليها بدرس تلك الآثار الَّا انَّنا كنَّا نودّ لو توسَّع في هذا الموضوع بدرس ايضًا الاساطين (cylindres) [illegible]لية التي [illegible] معلومات غاية في [illegible] القسم [illegible] المسيو تسمّرن (M. Zimmern) في وصف ميل[illegible] [illegible] دينية مع شروح حسنة وهذا الميل قد اكتشفتهُ البعثة الفرنسويَّة في شوشن. فترى ما نستفيد كلّ يوم من الاكتشافات البابليَّة لتعريف احوال الدين في بابل ولا شكَّ انَّنا نستطيع بعد قليل أن [illegible] ما كان من الفرق العظيم بين ديانات الامم المشركة وديانة شعب الله المختار

س. ر

R. P. P. Dhorme, O. P. **Choix de textes religieux assyro-babyloniens** : transcription, traduction, commentaire. *Lecoffre,* 1907, *XXXVII*-406 pp., gr. 8° (Collection « Etudes bibliques »).

نخبة نصوص اشوريَّة بابليَّة مع تمثيل لفظها وشرحها

انَّ الترقّي العجيب الذي بلغتهُ الدروس البابليَّة في عهدنا قد حدا باحد افاضل الآباء الدومنكيين حضرة الاب دورم ان يجمع في كتاب مدرسيّ نصوصًا جمَّة في دين البابليين وعباداتهم يتَّخذها طلبة المدارس الاكليريكيَّة كدستور تعليميّ. ومن يعمل النظر في هذا المجموع يتحقَّق بان صاحبهُ اصاب فيهِ المرمى ولا عجب فانهُ تلميذ العلَّامة الاب شيل الطائر الشهرة في معرفة الآثار البابليَّة ومدرّس اللغة الاشوريَّة في مكتب باريس العلمي. وممَّا يُستحسن في هذه المنتخبات انَّ حضرة جامعها سردها

سرداً حسناً بحيث يتضح من ترتيبها ما كان يعتقدهُ البابليُّون في امر الخليقة والطوفان والخطيئة الجديَّة وانتشار الجنس البشري وغير ذلك من الحقائق التي ورد ذكرها في اسفار موسى فيستطيع الدارس ان يقابل بين معتقدات اهل بابل واشور ومعتقدات بني اسرائيل فيرى وجوه التوافق والتباين بينها · ولم يكتفِ حضرة الاب دورم ان ينسق هذه النصوص ويضبطها بل ألحقها بصورتها اللفظيَّة بالحرف الاوربي ثمَّ نقلها الى الفرنسويَّة وذيَّلها بشروح وفوائد لغويَّة وغير ذلك من الملحوظات التي تذلّل العقبات للطلبة وتقرّب اليهم درس لغة بابل · وخلاصة القول انَّ هذا المجموع الجديد سوف يؤدي للدارسين الاكاديريكيين خدماً متعددة سواء كان للابحاث الكتابيَّة او لاتقان اللهجة البابليَّة · وهو يفوق على كلّ ما ابرزهُ سابقاً العلماء الكاثوليك كالاب ڤيكورو في كتابهِ «التوراة والاكتشافات الحديثة» · وكذلك يفضُل على مجموع المستشرق ڤنكلر الذي اختصَّ جامعهُ بالنصوص التاريخيَّة غالباً (١ · ونحن نتمنَّى لهذا الكتاب رواجاً وانتشاراً ليستطيع مؤلفهُ ان يزيدهُ اصلاحاً وتحسيناً ويستفيد من النصوص الجديدة التي يستخرجها الاثريُّون كلّ يوم من بطن الارض بعد رقادها بالوف من السنين · ولهذا الكتاب مقدَّمة طويلة حقيقة بالثناء اودعها حضرة الاب نظراً عموميًّا في ديانة البابليين

O. Weber: Die Literatur der Babylonier und Assyrer. *Hinrichs*, 1907, XVI-312 pp., 8°

آداب البابليين والاشوريين

انَّ الحركة العلميَّة في المانية لا تقتصر فقط بنشر التآليف المختصَّة بجلَّة العلماء ونخبة الادباء بل تتناول ايضاً عموم القرَّاء · فترى فئة من الكتبة يفرغون المجهود في تقريب مناهل العلم من شفاه الجمهور وهم يخوضون لذلك في غمرات كلّ فنّ فيستخرجون من ضحضاحها درراً ينظمونها في سلك يتحلَّى بهِ جيد الآداب العموميَّة · ومما ظهر آخراً الى عالم الوجود من هذا القبيل تاريخ الآداب الاشوريَّة والبابليَّة للمستشرق الالماني ڤابر · وقد عُرف الكاتب المذكور سابقاً ببعض التآليف عن عرب الجاهلية وها هوذا قد صرف فكرتهُ الى ما لم يُنتظر منهُ فوضع هذا الكتاب في آداب البابليين وضمَّنهُ خلاصة ما

(١ واسم كتابهِ بالالمانية : Keilinschriftliches Textbuch z. alten Testament, 1903

سطَّرهُ علماء العاديَّات الاشوريَّة منذ اكتشاف اسرار القلم المسماري · وقد حذا المؤلف في عملهِ حذو كاتب آخر ايطالي يُدعى تيلوني (Teloni) عرَّف المشرق (٧ : ٣٨٨) تأليفهُ في الآداب البابلية لكنهُ زاد على سلفهِ افادات أُخرى جعلت لهذا الكتاب الجديد فضلًا على التأليف الايطالي في بعض الفصول · وفي الختام نشير الى احد ادباء اهل الوطن أن ينقل هذا الكتاب الى العربية لينتفع من فوائدهِ الشرقيُّون وهم احقّ من غيرهم بمعرفة آثار الامم التي شرَّفت بلادهم س · ر

شذرات

مجلَّة المباحث — مضى على مجلَّة المباحث (Etudes) التي انشأها الآباء اليسوعيون في فرنسة خمسون سنة فاحتفلت ادارتها بعيد يوبيلي شائق ورد في اثنائهِ على اصحابها عدد وافر من رسائل التهانئ كتبها الاساقفة ونخبة الكاثوليك من فرنسة وغيرها · وكلُّهم صوت واحد في الثناء على الخدم المتعدّدة التي ادَّتها هذه المجلَّة للكنيسة والوطن · وممَّا زاد محرّري المباحث نشاطًا رقيم وجَّههُ اليهم قداسة الحبر الاعظم في ١٤ آذار المنصرم اطرأ فيهِ بسالتهم وتفانيهم في الذبّ عن حقوق الكرسيّ الرسولي وفي نشر التعاليم الدينية الصادقة على اختلاف موادها مع حرصهم على علم الاسفار المقدَّسة وتقاليد آباء الكنيسة · ثم آزرهم ببركتهِ الرسولية · ونحن ايضًا نضمّ صوتنا الضعيف الى اصوات المهنئين ونتمنَّى لاخوتنا كلّ فوز وثبات في سبيل الدين والعلم لمجد الله الاعظم ولخير النفوس الاعمّ

مقالة لبنان للمهندس الفاضل اميل افندي خاشو — كتب لنا من بكفيَّا جناب الدكتور امين جميّل ما حرفهُ : ان الموضوع الذي يبحث فيهِ الآن باسهاب في مجلَّتكم الغرَّاء حضرة المهندس خاشو هو من اهمّ المواضيع الوطنية · وقد وجدتُ اثناء مطالعتي هذا البحث مجالًا لملحوظات كثيرة أقتصر منها على ما يأتي : قد سها الكاتب الاديب في بيانهِ لفوائد الاشجار والغابات عن ذكر فوائدها العديدة للصحة العامة فانهُ قد قيل بحقّ : ان الارض التي لا تنبت نباتًا تنبت حمَّى الملاريا آفة بلادنا · وقد اثبت الاختبار ان الزراعة هي الطريقة الفضلى لاصلاح المناخ كما تبيَّن في جزائر الغرب بل في كل بلاد · فالبوشريَّة وتعنايل مثلًا كانتا عشًّا للملاريا فلمَّا امتدَّت فيهما

الزراعة وصُرفت المياه الآسنة وخُددت الارض وفُتحت القنوات والمصارف وزُرعت الاشجار فشربت رطوبة التربة بجذورها ونقّت الهواء باوراقها وقامت كستر وحجاب في وجه ما ينبعث من المياه الآسنة تحسّن المناخ وقلّت الامراض واشتدّت البنية وقلّت الوفيات. وبعكسه ترى قرى كثيرة كروق الخراب التي بعد ان كانت عامرة خربت وكاد ينقرض سكّانها لمّا قطعت احراجها وفتك بها الاهمال والماعز

وقد بينا كل ذلك بالتفصيل في مقالتنا « توفير السكان بتقليل الموتان » (المشرق ٦ : ١٧٢) وفي (البشير عدد ١٨ و ٢٧ نيسان سنة ١٨٩٤) وفي كتابنا قانون الصحة

اما زرع الاشجار على جانب الطرق في بكفيا فالفضل فيهِ لبلديتها منذ خمس عشرة سنة ثم للرئيسين الفاضلين ادوار واستانيسلاس شيخو اليسوعيَّين. أمّا انصاب الأكاسيا التي نوّه بها صاحب المقالة فهذه لم يعش منها الّا واحدة على ما قال لي رئيس البلديّة منذ هنيهة. وعسى يكون بذلك امثولة للتقيد حتى في الزراعة بقواعد هذا العلم وبما يرشد اليهِ الاختبار والفطنة

هذا ما رأيتُ من الواجب تنبيه افكار القرّاء اليهِ حبًّا بصحة ابناء الوطن العزيز ومحافظةً على اشجارهِ وغاباتهِ ...

الالعاب النوريّة في الليالي العيديّة قد كثرت في بيروت وغيرها مظاهر الافراح الليليّة بايقاد المصابيح ورشق الاسهم الناريّة وتنوير المنازل. وربّما أنفق الناس على هذه الالعاب مبالغ عظيمة. وقد اكتشف اليوم احد المهندسين الاميركيين طريقة بسيطة لهذه التنويرات الليليّة فما كاد يصفها في مجلّة علمية (Literary Digest) حتى اقبل عليها العموم واستحسنوها جدًّا لانَّ نفقاتها زهيدة ومشاهدها رائعة جليلة. ودونك وصف ادواتها. ان اردت تنوير مكان او ساحة او غير ذلك تجعل حيثما شئت مرجلًا تحمي فيهِ الماء الى ان يستحيل الى بُخار والبخار المتصاعد من المرجل ينفذ الى انابيب مختلفة الطول والشكل مجهَّزة بأثقاب متعدّدة ليتطاير منها ذاك البخار. فاذا انتشر البخار في الهواء انعقد في الجوّ فان وُجّهت اليهِ نور آلة كهربائية ظهر ذلك البخار على هيئات شتّى غاية في الحسن لاسيما ان صبغت ذلك النور الكهربائي بالالوان بوضع زجاجات ملوّنة فتكون المناظر فتّانة ساحرة للعين لا تستطيع الريح اطفاءها بل تزيدها حسنًا بتحريك دقائق البخار

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد السوريين في اميركة أيُستخرَج من العرعر زيتٌ وما فائدتهُ وكيف يُدعى بالفرنسويَّة والانكليزيَّة

زيت العرعر

ج نعم للعرعر (genèvrier) زيتٌ يُستخرَج منهُ ويُستعمَل لمداواة المواشي من الجرَب ويُدعى بالفرنسويَّة «huile de cade» وبالانكليزيَّة «juniperoil»

س وسأل الاديب ي. ي من كفرحي: ١ً اذا خُلط الطحين بالزوان (الشيلم) اينتج من اكل خبزهِ ضررٌ. ٢ً ما هي الفوائد الصحيَّة الناجمة من أكل درهم من الكبريت كلَّ يوم مضافًا اليهِ اربعة دراهم من السكَّر. وهل من أكل الكبريت بأس

الطحين المخلوط بالزوان – أكل الكبريت وفائدتهُ

ج الجواب على (الاوَّل) انَّ للزوان فعلًا سامًّا يختلط عقل مَن يأكلهُ ممزوجًا بالطحين وقد يختلف تأثيرهُ على قدر كميَّتهِ. وعلى (الثاني) انَّ الكبريت ينفع للامراض الجلديَّة ولتصفية الدم ان أُخذ منهُ شيء قليل بوصفة الاطبَّاء. ولكن لا يجوز الاكثار منهُ لئلَّا يمتزج ببعض فواضل البدن فيتركَّب بذلك اخلاط ضارَّة

س وسأل من زحلة الاديب سعيد امين: ١ً أيتمُّ وصية حضور القداس يوم الاحد من يحضرهُ في غير طائفتهِ. ٢ً أصحيح انَّ البابا حرم العلَّامة غليلاي لقولهِ بدوران الارض حول الشمس. ٣ً هل جهل المسيح بطبيعتهِ البشريَّة يوم الدينونة كما ورد في مرقس (١٣ : ٣٢). ٤ً ما هي المدَّة اللازمة للاعتراف بالخطايا لمن يتناول متواترًا

اسئلة لاهوتيَّة

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ الكاثوليكي يتمُّ وصية حضور القداس في ايَّة كنيسةٍ كانت من طائفتهِ او غيرها بشرط ان تكون كنيسةً عمومية. وعلى (الثاني) أنَّا اجبنا عن مسألة غليلاي في مقالة مطوَّلة رددنا فيها على مجلَّة المنار في العام السابق (المشرق ٩ : ١٧٩–١٨٥). وكذلك اجبنا هذه السنة عن (السؤال الثالث) في علم المسيح بيوم الدينونة (المشرق ١٠ : ٤٨). امَّا الاعتراف فلا يُحتم على المتناول تناولًا متواترًا الَّا اذا كان في حال الخطإ المميت. لكنَّ اكتساب الغفرانات يكون عادةً على شرط الاعتراف والتناول وكان هذا الاعتراف مفروضًا مرَّة في الاسبوع لكنَّ قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر فسَّح في هذه المدَّة وأجاز آخرًا بالاعتراف مرَّة في كل اسبوعين فقط

ل. ش